كتاب الشعب

٧٠ شخصية تحت الأضواء
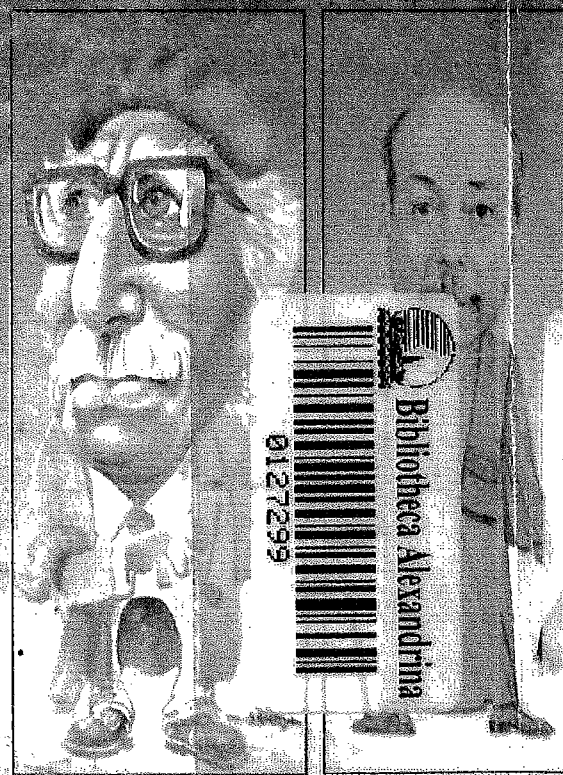
مشاهير وساخرون وصعاليك

كمال سعد

٧٠ شخصية تحت الأضواء

مشاهير وساخرون وصعاليك !

كمال سعد

هذا الكتاب

الشهرة قسمة ونصيب، وهى أحيانا لا تصيب !

وهى ليست مقصورة على الأغنياء - وحدهم - فأغلب المشاهير كانوا أصلاً فقراء، لا يملكون شروى نقير!

والشهرة ليست ماركة مسجلة للملوك والرؤساء والقادة العظام، فكثيراً ما ينال شرفها البؤساء والمرضى والمتزوجون والعزاب والأرامل - وكذلك - اللصوص !

والناس - كما نعرف - معادن .

فمنهم «المشاهير» الذين تهيأت لهم الظروف والحظوظ التى قادتهم إلى طريق الشهرة، وجعلت أسماءهم تدوى مثل رنين الذهب حكاماً كانوا أو مغنيين أو أبطال رياضة أو ممثلين أو مجرمين أو كتاباً أو نجوماً فى بقية المهن الأخرى !

ومنهم «الساخرون» الذين ملأوا حياتنا بالبسمة والسخرية، وكانت كلماتهم مثل مشرط الجراح الذى يريد أن يستأصل الورم الخبيث قبل وصوله الى الجسد كله !

وهناك «الصعاليك» الذين يعيشون على هامش المجتمع، ومنهم السلبيون والانتهازيون والغشاشون والمتسلطون والبلطجية، وهؤلاء مثل المعدن «الفالصو» فى حاجة إلى وقفة صادقة لكشف ألاعيبهم وحيلهم التى هى سبب كل المصائب النازلة فوق رءوسنا !

فهذه النماذج البشرية - عفواً - ما هى إلا خليط من العظماء والمفكرين والمضحكين والصعاليك وغيرهم «تعبر - بدون لف أو دوران - عن النفس البشرية التى تجمع بين طياتها كل المتناقضات والصنوف المختلفة من البشر ، فبينما ذكرنى فشل

الرئيس الروسى «جورباتشوف» مهندس البروسترويكا باللقطة الأخيرة لفيلم «زوربا اليونانى» عندما اندمج «أنطونى كوين» فى الرقص على مشروعه العظيم الفاشل، وجدت الفنان الشامل «صلاح جاهين» مقاتلاً عنيداً ضد الفساد والجشع والروتين والتكاسل والبلطجة والكوسة وعادة التزويغ الى مقهى النشاط !

وإذا كان «شاكر السلباوى» نموذجاً متكرراً فى المجتمع قد تراه فى الشارع وهو يسير عكس الاتجاه أو بين السيارات لأنه لا يعترف بأية ضوابط نظامية أو أى تعليمات للمرور ، فإن الرسالة المهمة التى يرسلها الينا «فلفل النصُ» تنبهنا نحن قبيلة «كل وأشكر» إلى موجة الإستقبالات الحارة والموائد العامرة التى استقبلنا بها «ريدج» ولهطة القشدة «كارولين» والواد كلارك «الشغال ومعه طليقته «كريستينا» أبطال مسلسل «الجرىء والجميلات» الملىء باللحم الأبيض المتوسط !

وعندما نتوقف عند حرامى الآثار الذى يصر على عدم الخروج من المولد بلا حمص، فإننا نعثر على «عبده لبلاب» وهو نوع من البشر سريع الإنتشار ومتسلق مثل نبات «اللوف» أو «اللبلاب» وناعم مثل الحية الرقطاء، وينطبق عليه كلام الشاعر الشعبى أحمد فؤاد نجم : «بتاع كل حاجة وخدام السيادة ودراعك اليمين» !

ويأتينا عمنا بيرم التونسى فى كتابيه «السيد ومراته في باريس» والسيد ومراته فى مصر ، لنرى مظاهر السلوك الاجتماعى عندنا وعندهم فى الغرب ، ونرى ما سيحدث للسيد «بيرم» وحرمه «سيدة» عقب عودتهما من باريس الى بيتهما فى جزيرة بدران بشبرا.. هل ستصقل الأسفار تجاربهما، وتنكشف العيوب، ويتعلمان عادات وتقاليد جديدة ؟!

ونعيش مع خفة دم سيدة الطرب أم كلثوم التى كانت حلوة الحديث، حاضرة النكتة، لا تتوقف عن الفكاهة والدعابة لتمسح هموم القلوب وآهات الزمن.. وعندما ننتقل إلي شيخ الملحنين زكريا أحمد سنكتشف أننا نحتفل دائماً بذكراه على إستحياء بدون ضجة كتلك التى نقيمها لمطربين «نص كم» أو لفنانين «فهلوية» قاموا بتشويه تراثنا على خير ما يرام !

ولن تجد هؤلاء - فقط - فى هذا الكتاب الذى يضم شخصيات من المشاهير والساخرين والصعاليك، ولكننا سنرى فيه عرضاً شيقاً لوجوه بشرية أخرى لعبت دوراً مهماً فى الحياة السياسية والاجتماعية والثقافية والاقتصادية والفنية والروحية فى مصر والعالم العربى، بل والعالم كله، بعضهم انتهى دوره، والبعض الآخر لا يزال مستمراً فوق خشبة المسرح حتى إشعار آخر!

كمال سعد

خطوط الغلاف : محمد شاهين

الغلاف للفنان

حسن الفداوى

الرســامون الفنــانون

المشتركون فى الكتاب :

- مصطفى حسين
- عفت حسنى
- عبد العزيز تاج
- سمير عبد الخالق
- سليمان عبد المحسن
- محمد نادى
- فواز محمد أحمد
- حسن الفداوى
- حلمى خليفة
- ممدوح طلعت
- عمرو فهمى
- علاء حجازى

تصميم وكتابة كمبيوتر:

- مصطفى فتيان

شاكر السلباوى

شاكر السلباوى «نموذج متكرر فى المجتمع» قد تراه فى الشارع وهو يسير عكس الاتجاه أو بين السيارات لأنه لا يعترف بأية ضوابط نظامية أو أية تعليمات للمرور ، وقد تشاهده بجانبك فى الأتوبيس متفرجا على كل ما يحدث دون أدنى تعليق أو حتى تحذير للراكب الذى أخرج النشال أحشاء جيبه، وأحيانا تراه ملطوعاً فى طابور الجمعية لا يبيع ولا يشترى، أو محتلاً مقعده الدائم فى المقهى، أو بجوارك فى المكتب تاركاً دوسيهات الناس وغارقاً لشوشته فى حل الكلمات المتقاطعة ومتابعة آخر أخبار «النميمة» ومقاسمة زميلته «البطة» المنزلية «تفيدة هانم» فى ساندوتش باذنجان أو طبق فول بالزيت الحار خصوصى من عند «الجحش» أشهر «فوِّيل» فى عموم مصر !

اختار لنفسه طريقا واضحا لا لبس فيه.. فكل شىء فى نظره لا يساوى عنده إلا كلمتين : «طظ.. فش» ... فالسياسة الدولية لا تعنيه من قريب أو بعيد.. ولا فرق عنده بين يلتسين واسماعيل يس.. ولا يهمه الحصول على البطاقة الانتخابية لممارسة حقه الدستورى مادامت لاتوجد لها مزايا مثل بطاقة التموين.. ولو سألته عن توفيق الحكيم ويوسف ادريس والعقاد وطه حسين لاستكبر على نفسه وقال مثل عبد الوهاب «لست أدرى» أنه لا يعرفهم ، أوقال لك دون تردد إنهم كانوا أكبر تجار مواشى فى بلدنا !

من مزايا أخونا «شاكر» أنه ماكينة إنجاب بشرى قوة ١٦ حماراً لا تنافسها أشهر بطارية أرانب بلجيكية، فهو طالع مخلف، نازل مخلِّف، ولتذهب جهود تنظيم الأسرة إلى الجحيم، مادامت شوارعنا ونواصينا ومواقف الأتوبيسات ستزدحم فى السنوات القادمة بذريته من ماسحى الأحذية والباعة السريحة !

التقى مرة – مصادفة – بمذيعة سألته عن أغلى أمانيه ، فقال لها ببلادة :

«ياريت يخفضوا وقت العمل لأقل من ٢٧ دقيقة فى اليوم، ويزودوا عدد المقاهى علشان سعر المعسل ينزل، ويخلوا العلاوة الدورية حسب الفصول الأربعة أربع مرات فى السنة، ويقبضونا مكافأة متينة عن كل طفل ننجبه بالسهر والدم والدموع.. والمقويات » !

ولأنه فاضى – والفاضى يعمل قاضى – وأبو العريف فى كل حاجة، فهو مصنع على ودنة لإنتاج الشائعات وشحنها ، وتراه يتكلم بثقة وعنجهية عن أصدقائه المسئولين والمهمين الذين قالوا له – بصفة شخصية فى قعدات المزاج.. كلاما موزونا، مع أن أكبر مسئول عرفه فى حياته كان دلالاً أمام الجمعية الاستهلاكية ثم اعتزل فجأة وأصبح مسئولا عن جلب الهيروين !

وقد يقول قائل : كم يكلفنا شاكر السلباوى وأمثاله الذين يمثلون الجانب السلبى الغالب فى المجتمع !

وهنا أقول بكل صراحة إنتاج وعرق وجهد وفكر مصر كله.. فأمثال «السلباوى» يشبهون عندى مركبا مزدحماً بالركاب الذين ناموا بأكملهم مثل تنابلة السلطان وشبعوا تشخيراً، بعد أن اطمأنوا إلى أن الملاح الذى سيجدف بهم وسط العواصف والأمواج سيوصلهم إلى بر الأمان.. متناسين أن السلبية لن توصلهم أبدا إلى أى شاطىء !

وابقوا قابلونى لو فلحتم !

السيد ومراته فى باريس

لا يزال بيرم التونسى برغم مرور أكثر من ١٠٠ عام على مولده يثير فى نفوسنا الكثير بسخريته ونضارة روحه ورشاقة ألفاظه وتغلغله فى حياتنا الشعبية.

وإذا أردت أن تتعرف على هذا الفنان الذى عاش وسط أمواج العذاب الجارفة التى زلزلت كيانه طوال عشرين عاما قضا ها منفيا بعيدا عن الوطن والأهل، فأنصحك بأن تبدأ بقراءة كتابيه «السيد ومراته فى باريس» ثم «السيد ومراته فى مصر» فكل منهما صورة كاريكاتورية صارخة تطرح قضايا ومشاكل مجتمعنا بلغة سهلة وميسرة.

ففى كتابه السيد ومراته فى باريس نرى السيد ابن الحارة المصرية يصحب زوجته وهى ترتدى الملاية اللف إلى عاصمة النور، أو المدينة التى قطعت شوطا طويلا فى ميدان الحضارة الحديثة، حتى ترى وتفهم الناس الذين أداروا ظهورهم لكل مظاهر التخلف والفوضى، ففى مدينة السياح والصعاليك يكتشف الزوجان أنه لا مكان لحجاب الزوجة فى عالم اعترف بحرية المرأة وجعلها تؤمن بالعمل وتصبح حجة فى العلم والمعرفة.. إنه ينزع عنها الحجاب، معلنا خلاصها من القيود التى كبلت المرأة المصرية ومحت شخصيتها لفترة طويلة داخل بيتها وفى قلب مجتمعها!

وأثناء تلك الرحلة نلمح ابن الحارة عندما تدفعه الرؤية الجديدة إلى تأكيد إيمانه بضرورة الثورة على التقاليد والأوضاع الاجتماعية البالية، فهو ينظر حوله ليرى شريان الحياة يدب فى كل مكان، ويتذكر مصر وأحوال أهلها فيحس بأوجاع لا طاقة لإنسان عليها، نتيجة تخلفنا المريع وإهمالنا للنظافة، ويرسم صورة فى غاية السخرية من شوارعنا التى تهطل عليها الزبالة من البيوت مثل الأمطار، ولسيداتنا اللاتى يؤمن بأن الكناسة من علامات الخير، والواحدة من هؤلاء ما إن تطبخ طبخة طيبة، حتى تسرع إلى رمى بقاياها من الدور الرابع

تحدثا بنعمة الله، وليعرف الجيران أنها طبخت أوزة. أو التهمت «مجموعة من علب السردين اللى جابها الأفندى جوزها» الذى تعطيه دائما هذا اللقب احتراما لشأنه، ومباهاة به أمام أهل الحتة، وأيضا رهبة من طلعته البهية!

وفى هذا الكتاب يلقى بيرم التونسى الضوء على مظاهر السلوك الاجتماعى عندنا وعند الغرب، ويصل بقلمه إلى كل شىء من أول الفران الذى يأكل صينية اللحم ثم يحرقها، والمرأة البدينة التى ترتدى فستانا «محزق» إلى عادات العمل والزواج والعلاقات الإنسانية وفهمنا الخاطىء لدور الدين الذى لم نأخذ منه سوى المظهر، بينما تركنا المضمون!

ويبدأ فى باريس تعليم زوجته «سيدة» أدب الموائد وتنظيم مواعيد وجبات الطعام والاستيقاظ المبكر مثل أهل أوروبا الذين لاتجد مخلوقا منهم فى السرير بعد السادسة صباحا، باستثناء مرضى المستشفيات!

ثم يخّرم على طريقة التعامل البدائية فى المصالح الحكومية، وتذهب معه إلى مقهى لترى الناس فيه يتناقشون دون صراخ أو ضجيج، فهم يضحكون ويمرحون وإنما بعقل، وصوت هادىء و «ماينهقوش زى الحمير»!

ويذكرنا عم بيرم بنماذج النساء عندنا تظل الواحدة منهن تعاير زوجها بأنه لايحقق لها كل طلباتها، فيضطر فى النهاية إلى اختلاس العهدة، ودفع الثمن سنوات من حياته وراء القضبان!

وتتوالى انتقادات بيرم لعاداتنا السيئة بصراحة لا لف فيها ولا دوران، فيرسم صورة ساخرة لمتعصبى كرة القدم، وساعى البريد، والكمسارى، والأم الجاهلة، والألفاظ الجارحة، والزوجة المهملة، وضياع الأطفال، والهوان الاجتماعى، من خلال ألفاظ قاسية يحاول بها إيقاظنا من النوم العميق !

ويعود - بعد جولة الانفتاح على الدنيا - مع زوجته إلى مصر، ليجعلنا

نتساءل : هل سيتغير سلوكهما وسط الناس، وينشران الحياة التى لاتعرف المظاهر أو الخداع؟

إنها رحلة أخرى مع السيد بيرم ومراته بعد عودتهما من باريس إلى بيتهما فى جزيرة بدران، وهى رحلة تستحق منا وقفة أخرى مع فنان الشعب..

السيد ومراته فى مصر

ماذا سيحدث للسيد بيرم التونسى وحرمه «سيدة» عقب عودتهما من باريس إلى بيتهما فى جزيران بدران؟.. هل يتغير سلوكهما وسط الناس، وينشدان الحياة التى لا تعرف المظاهر أو الخداع؟

نكتشف فى كتاب بيرم التونسى الثانى «السيد ومراتة فى مصر» أن الأسفار صقلت كليهما بالتجارب، وأوضحت أمامهما عيوبا كثيرة تعيش فى مجتمعنا كالآفة، ولا تراها العين التى لم تتعود السفر والمقارنة!

إن مصر فعلا بلد المتناقضات، فيه الفوضى فى الأجور، واستغلال وخداع فى التعامل، ومضايقات فى الجمارك، وتفرقة واضحة فى المعاملة بين الأجانب وأهل البلد الذين يمثلون أصحاب الخيرات المنهوبة!

ونرى زوجته عقب عودتها من الخارج وقد تخلصت - فعلا - من بعض العيوب وليس كلها، فحقيقة أنها أصبحت تميل إلى البساطة والهدوء، وتسعى للتعاون مع زوجها، وتكره الاجتماعات التى لا حديث فيها إلا عن الشئون الخاصة جدا للحريم، وتؤمن بالعمل والتربية الحديثة للأطفال، إلا أنها مازالت تمسك بذيل بعض العادات السيئة مثل الكذب وتضليل الزوج!

وعندما يصل معها إلى بيته فى عربة حنطور، ويدفع الأجرة مضاعفة، فإن زوجته تسأله: هوه ما فيش يا خويه فى البلد دى تعريفة للعربجية الحرامية دول ؟! فإنه يرد عليها قائلا : فيه.. لكن زى كل شىء فى البلد، حبر على ورق!

ونراهما مستمرين فى تحسين ظروف معيشتهما فأحيانا يحذران بعضهما من الحديث بصوت عال، وأحيانا نرى طاولة الأكل فى نظرهما أحسن من «الرمية» على الحُصر المليئة بالبراغيث، كما أن الأكل بالسكاكين والشوك أحسن من «التلغويص»، والنظافة ليست مظهرا خارجيا فقط، ولكنها عادة يجب أن تتأصل فى نفوسنا وفى كل ركن من أركان بيوتنا، والزوجة يجب أن تهتم بزينتها فى

بيتها وأمام زوجها، قبل اهتمامها بصورتها وهى فى طريقها إلى السينما أو الشارع!

وينظر بيرم حوله فى مصر، فيراها مليئة بالنصابين والدجالين، ويقول لزوجته إن الأمور وصلت إلى درجة أن بلدنا أصبح مليئا بالأطباء الأجانب الذين يحملون شهادات مزورة ويقتلون مئات المرضى يوميا تحت سمع وبصر القانون، والصحف لا تهتم إلا بالإعلانات القضائية وعزاء فلان الفلانى وشكر كل من ساهم فى مصابنا!

ويتهكم على أحوال مسارحنا التى لاتقدم فنا رفيعا خالصا، والتى يدخلها جمهور آمن بمنطق أنه مادام قد دفع نقودا فلابد أن يمارس حقه فى شتى الرذائل مثل الرغى أثناء العرض وقزقزة اللب والضحك بصوت أجش، وكأن مثل تلك العينة من البشر لاتصل إلى حالة الانشراح والانبساط إلا على حساب مضايقة الناس!

ونشاهد زوجته فى أحد المواقف وهى تحاول أن تعمل لتساعد زوجها فى حياته ومعيشته مثل نساء فرنسا اللاتى يقمن بأعمال شاقة دون عجرفة أو كبرياء، ثم نراها فى موقف آخر وهى تتهكم على النساء اللاتى يتظاهرون بالحزن عن طريق المناديل السوداء واللطم والصراخ، بينما واقع أعماقهن لايدل على ذلك، ونراها فى موقف ثالث تتعجب من الزوجات اللاتىيتمسكن بعادة الكحك فى الأعياد، ويكلفن أزواجهن فوق طاقتهم، وتستشهد فى مرارة بجارها الجزار الذى كلفه الكحك ضعف كسوة أولاده الثلاثة، ثم نراها تعبر عن رأيها لو رزقت بطفل، أنها سوف لا تعرضه للأهوال التى يراها أطفالنا فى سنوات حياتهم الأولى، بل سترعاه مثل أى امرأة أوروبية.. كما أنها لن تجعله يعانى من ذل الوظيفة، ولكنها ستوجهه نحو المهنة التى تفيد وطنها، وتجعله يرفع رأسه فى كل مكان، بلا رياء

ولا نفاق أو تملق!

لقد آمن بيرم فى العشرينات بضرورة أن نتطور، وأن نستفيد من تجربة من سبقونا، وأن نتخلى عن كل العادات السيئة التى دمرتنا وشوهت تاريخنا، فهل نجحت رسالته بعد أكثر من سبعين عاما، أم أنه كان ينفخ فى «قربة» مقطوعة؟!.

يا صلاة الزين

يا عم زكريا

احتفلنا بميلاد شيخ الملحنين زكريا أحمد على استحياء بدون ضجة مثل تلك التى نقيمها لمطربين «نص كم» أو لفنانين «فهلوية» قاموا بتشويه تراثنا على خير ما يرام، وكأننا لانعرف قيمة هذا الفنان الجميل ودوره فى الحفاظ على النغم الأصيل، أو كأن هذا الملحن العبقرى لم يعش على أرضنا بل عاش فى بلاد «الواق الواق» التى لم يستمتع أهلها بألحانه التى تعدت الألف وأوبريتاته التى تجاوزت الخمسين،وإلا فلماذا قررنا تحجيم ذكراه بإقامة بعض الاحتفالات الهامشية التى لا تليق بموظف حكومى درجة تاسعة ؟! هل لأنه حافظ بعقله وحواسه وأظافره على النغم الشرقى بـــــدون شوائب؟! أم لأنه لم يخضع لحمىٍّ الاقتباس التى تفشت فى موسيقانا وجعلتها مثل غراب «كليلة ودمنة» الذى أراد أن يكون عصفورا ملونا، فلطخ ريشه بمزيج من الألوان، وتهادى فى دلال مثل العصافير، فما كان من الطيور إلاّ أن ضحكت عليه حتى دمعت عيونها، وأدرك – بعد فوات الأوان – أنه لن يكون أبدا عصفورا مغردا، كما أنه لن يستطيع العودة إلى أصله كغراب ؟!

زكريا أحمد ضمن ذلك الطراز النادر من الفنانين الممتلئين بالمشاعر الفياضة والوجدان السليم والأنغام الشجية والحماس المؤثر فى الأسماع والأذهان وبرغم صوته الأجش فقد أطربنا عندما غنى «يا صلاة الزين على عزيزة يا صلاة الزين» و «الورد جميل»، وجعلنا نترحم على الكلمات الحلوة والأنغام البديعة والموهبة الفذة التى يتسرب شذاها كالزهرة التى تملأ النفس بأعطر النسمات.

عرفه قدامى أهل الفن منذ صباه، عندما كان يتسلل داخل سرادقات الأفراح ويختفى تحت «الدكة» التى يجلس عليها المشايخ والمطربون والمنشدون، لكى يسمع القصائد الدينية والتواشيح والأغانى، ويحفظ أغلبها ويرددها فى شغف وحب.

لم يقف التحاقه بالأزهر حائلا أمام إشباع هوايته الغنائية فكان من أكثر المترددين على شارع محمد على ومتابعة كبار المطربين والموسيقيين أينما كانوا، وأدى هذا الشغف إلى إحالته لمجلس تأديب، فطردوه من الأزهر ليمارس هوايته كقارىء للقرآن الكريم، ولينضم بعد ذلك على التوالى إلى بطانتى الشيخ إسماعيل سكر والشيخ على محمود، ويعلو صيته فى ترديد ما تعلمه من هؤلاء، ثم تنفتح أمامه طاقة القدر عندما دعاه والد أم كلثوم الشيخ إبراهيم البلتاجى وشقيقها خالد للاستماع إليها - قبل شهرتها - فى قريتها طماى الزهايرة، ومن وقتها توطدت صداقته بالمطربة النابغة، فكان معها من أول الطريق إلى الشهرة، فغنت له فى بدايتها «اللى حبك ياهناه» و«رشيق القد» و«ياهلال السماء» ، ومضى معها فى مشوار النجومية من خلال ٥٦ أغنية - أحدثت دوياً فى الساحة الغنائية - ومن أهمها «أهل الهوى» و«الأمل» و«حبيبى يسعد أوقاته» و«أنا فى انتظارك» و«الفوازير» و«شوية شوية» و«الأولة فى الغرام» وكانت «الآهات» من أكثر أغانى أم كلثوم نجاحا، ولهذا طالبها بزيادة أجره، ورفضت بدون إبداء الأسباب، فخاصمها لأكثر من ٨ سنوات ليعود بعدها ويلحن رائعة بيرم التونسى «هوه صحيح الهوى غلاب؟!» التى كانت آخر مطافه مع كوكب الشرق !

كل أصدقاء زكريا أحمد يؤكدون أنه كان يتمتع بذكاء خارق، وحديث شيق يلزم الحاضرين بالصمت والإنصات، وكان صاحب قفشة وابن نكتة يرويها بطريقته الخاصة فيجددها حتى لو كانت قديمة !

لم يكن يهتم بالصغائر، ولا يخشى أمسه فقد ذهب ولن يعود، ولايخشى غده لأنه لايريد أن يعرف بماذا سيجىء، وكان ودودا، لا يحقد ولا يكره، ويتقبل كل الضربات بصدر رحب، وكم عانى من غدر الأصدقاء وطعناتهم فى ظهره، وله عبارة مشهورة فى هذا تقول :«اللى يشتمنى زى الى بيدينى فلوس.. لا الشتيمة

لازقة ولا الفلوس قاعدة»، وقد شعر فى أوقات كثيرة بغربة الروح والفقر اللعين والأحزان المؤلمة التى هزت كيانه من الأعماق عندما فقد ابنه الأكبر «إحسان» وهو فى ريعان شبابه، ووقتها لم يصرخ، ولم يضعف، بل تماسك وتقبل الكارثة بالرضا والصبر وعدم التوقف مؤمنا بقضاء الله وقدره.

ولولا كل تلك الصفات النبيلة لما انطبعت ألحانه فى أذهان الناس، ولما أثبت – مثلا – فى أوبريت «عزيزة ويونس» أن الموسيقى الشرقية يمكن لها أن تلعب دورا كبيرا فى إيقاظ النائمين و إلهاب حماسهم.

إنه الفنان المبدع الموهوب زكريا أحمد، الذى عاش مسكينا، ومات مسكينا ومازلنا نتجاهله مع سبق الإصرار والترصد!

الإرهابى

صفات الإرهابى التى تطالعنا فى مناطق متفرقة من العالم، مهزوزا، ومندفعا، ومحبطا، وفاشلا اجتماعيا وأسريا، ولديه شعور بالمرارة والسأم والكآبة والانطواء، بالإضافة إلى استعداده لأى غسيل مخ تحت سطوة الأفكار المتطرفة وبريق المال الذى يتصور أنه سينتشله وينتشل أهله من أوحال الفقر!

إنه باختصار العبارة، ضائع، ومنهزم أمام نفسه ومجتمعه، وتسيطر عليه الأمراض النفسية بداية من «الشيزوفرينيا» أى انفصام الشخصية، إلى «السيكوباتية» وهى أخطر الأمراض المعادية للمجتمع!

وهذا الإرهابى - الذى يُطيِّر النوم من عيوننا ويُدمى قلوبنا - ليس موجودا فقط فى مصر والجزائر وفلسطين وإسرائيل وغيرها من دول الشرق الأوسط، ولا ينتمى من قريب أو بعيد لدين بعينه، سواء كان مسلما أو مسيحيا أو يهوديا، أو حتى بوذيا........، أو من هؤلاء الذين يعبدون البقرة والشجرة والشيطان، لأن كل تلك الأديان السماوية والفلسفية تنادى بالحب والتسامح والسلام وتحريم إهدار دم النفس البريئة «عمّال على بطّال»، بينما هو - شخصيا - بلا عواطف، ولا يعترف فى قرارة نفسه بجمال الحياة وروعة هذا الإنسان الذى كرّمه الله على بقية الكائنات!

ولو نظرنا إلى خريطة العالم لاتضح لنا أن الإرهاب ليس له دين ولا ملة، وينابيعه تتفجر فى كل أنحاء الدنيا، بداية من أمريكا التى قدمت لنا جماعة «أوكلاهوما» المسماة بميليشيات ميتشجان التى أرادت بتدميرها لمبنى الحكومة الفيدرالية أن تلقى الرعب فى مواقع التجمعات، إلى كولومبيا التى أطلقوا فيها على عتاولة الإرهابيين عندهم «بارونات الصنف» لأنهم دولة داخل الدولة، بل أقوى من حكوماتهم فى بعض الأحيان، والويل كل الويل لمن يحد من نشاطهم أو يقف فى طريقهم، سواء كان مواطنا عاديا أو حتى وزير داخلية!

وعلى امتداد سواحل الأطلنطي والمتوسط يتنوع شكل الإرهابيين والقتلة، ففى أسبانيا تقوم منظمة الإيتا الانفصالية بتفجيرات فى العاصمة مدريد بدعوى المطالبة بانفصال إقليم الباسك عن بقية أسبانيا، وفى إنجلترا نجد منظمة الجيش الجمهورى تهز انفجاراتها وسياراتها «المفخخة» قلب لندن، وبينما الإرهابيون فى جزيرة كورسيكا يهددون الأمن الفرنسي، نجد أن الانفصاليين فى جزيرة سردينيا يسرقون النوم من عيون الحكومة الإيطالية بأعمالهم المجنونة داخل المدن الهامة!

وإذا كانت اليابان تصرخ بأعلى صوتها من «الحقيقة المطلقة» وهى عصابة غريبة الأطوار أطلقت أنابيب الغازات السامة على ركاب مترو الأنفاق فى العاصمة طوكيو، فإن «نمور التاميل» فى سريلانكا مازالوا يشنون غاراتهم الإرهابية برغم نسف معقلهم!

ولن أحدثك عن الإرهاب الجماعي فى رواندا وبوروندى الذى قضى على ٥٠٠ ألف ضحية من المدنيين، والمذابح فى نيجيريا أو فى ليبيريا التى يصر الإرهابيون فيها على إعادة القارة الأفريقية إلى عصور الظلام، أو الإرهاب الوحشى الصربى الذى يتوارى أمامه تاريخ التتار وقبائل الهون خجلا.. ولكن سأكتفى بأن أقول لكل هؤلاء وغيرهم : هيّه ناقصة «ضلمة» ؟!

زوربا الروسى

محاولة جورباتشوف مهندس البروستوريكا العودة إلى الحياة السياسية فى روسيا مرة أخرى بعد بيات شتوى طويل يذكرنى باللقطة الأخيرة فى فيلم «زوربا» اليوناني، عندما اندمج «أنتونى كوين» فى الرقص على أطلال مشروعه العظيم الفاشل!

فزوربا الروسى لم يترك كرسى السلطة فى عام ١٩٩١ إلا بعد أن ضيّع شعبه وجعله من شعوب الدرجة الثالثة، وتسبب فى حدوث انقلاب مفاجىء وسريع فى مجتمعه أدى إلى انهيار الدولة وتفككها ووصولها إلى حافة الهاوية بفضل عصابات المافيا وتجار الرقيق الأبيض وباعة المواد النووية وبلطجية غسيل الأموال القذرة وسماسرة بيع صفوة العلماء وتسريح كبار الضباط، إذن لماذا يعود؟!

لقد قرر أن يرشح نفسه فى انتخابات الرئاسة الروسية القادمة أمام غريمه «بوريس يلتسين» الذى كان سببا فى تخليه عن السلطة «فالتار بايت»، والنتيجة لاتهم، لأنه «شمشون» الذى سيهدم ما تبقى من المعبد عليه وعلى عدوه اللدود، فهو لايطمع فى الفوز، ويعرف أن نجمه أفل بين أفراد الشعب الروسى، ولكن مهمته الأولى فى الانتخابات تنحصر فى تبديد فرص يلتسين» فى النجاح وإضعافها!

وهذه المهمة المحددة يعلنها جورباتشوف بين أفراد شعبه مدوية، فهو لا ينكرها، ولا يتبرأ من قوله إنه جاء لتحقيق رغبته الانتقامية، وإنه مستعد للانسحاب من الساحة السياسية فورا لو توحدت القوى الديمقراطية وراء مرشح مناصر لمبادئها!

والغريب أننا لو قارنّا جورباتشوف بمنافسه «يلتسين» لانطبق عليهما قول الشاعر العربى الظريف «كلا الأخوين مزراط.. ولكن شهاب الدين أزرط من أخيه»، فقد جاء يلتسين لإصلاح الحال «المايل»، فلبس زى «الكاوبوى متوهما أن

الأمريكيين سيقذفون بملايين الدولارات تحت قدميه، ولكن «نقبه جاء على شونة»..
وتمخض الجبل فولد فأرا، وارتفعت معدلات التضخم والبطالة والأسعار إلى الذروة، وأصبح الروبل لايساوى «بصلة» أو حتى «خيارة» فى السوق!

ولهذا فإن عودة جورباتشوف إلى الساحة السياسية - رغم فشله الذريع فى الانتخابات - ينطبق عليها القول «وكأنك يابدر لارحت ولاجيت»، فالمواطن الروسى لن يتغير، وسيظل «غلبان» و «جوعان» و «كحيان» وأضيع من الأيتام على مأدبة اللئام الذين «يبوسون» القدم و «يبدون» الندم فى حق الرأسمالية، ويتمنون نظرة عطف وحنان من السوق الأوروبية المشتركة !.

عندما أنقذ
عبد الحليم نزار قبانى

كانت معرفتى بعبد الحليم حافظ وهو على فراش المرض عام ١٩٧١، وكان الشاعر صالح جودت يطالبه وقتها بألا يغنى للشاعر نزار قبانى، وذهب فى خصومته إلى درجة أن اقترح ضرورة منع الشاعر من دخول مصر بحجة أنه تطاول علينا فى شعره بعد النكسة!

سألت عبد الحليم عن مدى استجابته لهذا الطلب، فانفعل بشدة وقال لى : لا وألف لا، سأغنى له، فالمسألة باختصار أن الفنان مثل أى إنسان، فى لحظة انفعال من حقه أن يقول أى شىء، وأنا لا أفهم أن نحكم بالإعدام على شاعر لمجرد أنه قال قصيدة بعد النكسة، عبر فيها عن انفعالات ربما كانت تدور فى أذهان كثير من الناس، فالفرق بين نزار ومن هاجموه إنه قالها بصوت عال، وكان يقصد فيها الأشياء البالية فى الوطن العربى، ولم يقصد مطلقا ما يتصوره خصومه، فنزار كأى فنان له محاسنه فى أشعاره وهى كثيرة جدا، وله أيضا بعض الأخطاء، ولكى نكون منصفين يجب أن نحاسب الفنان على مجموعة أعماله، ولا نتصيد الهجوم ضده من خلال قصيدة واحدة!

وراح عبد الحليم حافظ يدلل على صحة موقفه، فقال لى : بذمتك من يستطيع أن يقول مثل هذا :

أتجول فى الوطن العربى..
لأقرأ شعرى للجمهور..
فأنا مقتنع أن الشعر رغيف يخبز للجمهور
وأنا مقتنع - منذ بدأت -
بأن الأحرف أسماك..
وبأن الماء هو الجمهور..
أتجول فى الوطن العربى..

وليس معى إلا دفتر..

يرسلنى المخفر للمخفر..

يرمينى العسكر للعسكر

وأنا لا أحمل فى جيبى إلا عصفور..

لكن الضابط يوقفنى..

ويريد جوازا للعصفور..

تحتاج الكلمة فى وطنى..

لجواز مرور!!

ووقتها كان لابد أن أسأله بعد إسهابه في الحديث عن محاسن نزار قبانى :

لماذا لم تكلمنى مطلقا عن عيوبه، هل يعنى هذا أنه شاعر بلا خطيئة ؟!

قال لى إن نزار نفسه تحدث بإسهاب فى أكثر من قصيدة عن تلك الأخطاء، فقد نقد شعره عندما قال لشعراء الأرض المحتلة :

يا من أوراق دفاتركم بالدمع مغمّسة، والطين

يا من نبرات حناجركم تشبه حشرجة المشنوقين

يا من ألوان محابركم تبدو كرقاب المذبوحين نتعلم منكم منذ سنين..

نحن الشعراء المهزومين

نحن الغرباء عن التاريخ،

وعن أحزان المحزونين

نتعلم منكم كيف يكون الحرف له شكل السكين

ووجدت نفسى أقول لعبد الحليم: إن نزار لو كان هنا لما دافع عن نفسه بأكثر من هذا، وسألته عن أغنيته الجديدة له، قال إنها «رسالة من تحت الماء» التى يخوض فيها الحبيب تجربة الحب بلا خبرة، ولكنه لا يستطيع التراجع، فقد قطع

شوطا طويلا فى درب الهوى، شوطا لايستطيع معه أن يميت الدمعة فى الأحداق، أو يجعل الحب يموت وتنتحر الأشواق!

ولم تفلح - عقب ذلك - كل الحملات فى إقناع المسئولين بمنع أشعار نزار قبانى، وجاء إلى مصر معززا مكّرما لتستقبله بكل الحب والترحاب والتقدير، وليغنى له عبد الحليم حافظ «رسالة من تحت الماء» ثم «قارئة الفنجان» وهما القصيدتان الرائعتان اللتان حققتا نجاحا ساحقا لم تحققه أى أغنية أخرى للعندليب الأسمر.

وعندئذ توارى المعارضون خجلا، وبقيت كلمات نزار الرشيقة، وصوت عبد الحليم البديع، وألحان محمد الموجى الشجية، وتصفيق الجمهور وآهاته شاهدا على ذكاء وجرأة الفتى الذهبى!

تذكرت كل هذا ونحن نحتفل بذكرى رحيل عبد الحليم حافظ، وأدركت لماذ بقى هذا الفنان وازدادت قيمته بعد رحيله، بينما هناك مطربون آخرون رحلوا برغم أنهم مازالوا على قيد الحياة!

المطيباتى

لو أردت أن أصف لك «المطيباتى» لقلت إنه سفروتى الشكل، يتحرك بكل جزء من جسمه لكى يؤكد صدق كلامه وتنبؤاته ويؤثر على مستمعيه بسهولة!

ولو طلب منه رئيسه كبدة النملة أو مخ العصفور لأحضر له المطلوب بسرعة البرق على صينية ذهبية، وهو يقول فى سعادة بالغة : «شبيك لبيك.. موظفك المخلص جدا تحت أمرك وملك إيديك»!

المطيباتى – بالطبع – يجيد مسح «الجوخ» وأى أنواع أخرى من الأقمشة الحديثة، ويسرى النفاق فى دمائه كالشلال، ويؤدى دوره فى الحياة كما لو كانت الدنيا دائمة له وحده، ولن تسع غيره!

وهو – بالمختصر المفيد – محفلط، مزفلط، كثير الكلام ويأكلك قبل أن تأكله، وموهبته تصل إلى حد انتزاع الاعترافات الحماسية – بدون وجه حق – من رؤسائه ليظهر أمام الجميع على أنه أكفأ خلق الله وأجدعهم وأكثرهم انضباطا فى السلوك القويم، والأرزاق – ياخايب – تحب «الهلضمة» و «الخفية» وسلم لى الناس السُذّج «اللى فاكرة المسألة شغل وبس»!

كلام المطيباتى وحركاته مثل العسل على قلب رئيسه القديم والجديد، فهو الوحيد الذى يتحف "سيده وتاج راسه" بالعبارات الجميلة التى تستلذها النفس والحواس، فتنفتح له الأبواب المغلقة فى سهولة ويسر، لأنه غير «مكلكع» أو من هذا الصنف المعتز بكرامته – والعياذ بالله – ولذلك فكل طلباته للترقى أوامر مجابة، وحتى لو اتهم زملاءه «المقتولين» فى العمل بأنهم مقصرون وولاؤهم غير مضمون فهذا هو الحجة ا لدامغة التى لا تناقش «وإذا ماكانش عاجبك اضرب دماغك فى الحيط»!

المطيباتى مذهبه «بوس اللى جاى» و «انعل خاش اللى رايح» ولهذا فهو يستقبل رئيسه الجديد سواء كان وزيرا أو محافظا أو غفيرا بالتهانى والبرقيات

والمشاعر الفياضة، فقدوم المسئول للمنصب الجديد سيعدل الأحوال «المايلة» ويقضى على الذمم الخربانة والفساد المستشرى!

أشهر من أدى دور المطيباتى فى المسرح والسينما الممثل محمد شوقى أحد النجوم المشاهير لفرقة الريحانى، وأداه بجدارة - وأيضا استيفان روستى وتوفيق الدقن، بينما ارتضى «فاروق فلوكس» بإطلاق البخور أمام المعلمة والهتاف باسمها حتى يوسع رزقه ويناله من الحظ جانب، ومن قبل هؤلاء قرأنا فى الشعر العربى كيف كان المتنبى أكبر «مطيباتى» لحاكم مصر كافور الأخشيدى العبد الحبشى الأسود مثقوب الشفة، فقد وصفه بأجمل الأوصاف وأرقاها، فهو القمر المضىء والسيد الأوحد على الزمان، وعندما لم يحقق له الأمل فى أن يكون واليا على إحدى المقاطعات فى الوجه البحرى نزع عنه فورا تلك الصفات وأهال عليه فى غمضة عين «التراب» ووصل إلى الطعن به فى شهامته وفحولته :

صار الخصى إمام الآبقين بها

فالحر مستعبد والعبد معبود

المطيباتى منظم جدا، ففى جيبه «أجندة» تضم تواريخ كافة مناسبات رئيسه وأهل بيته، فهو حريص على أعياد ميلاد الأولاد، وأم العروسة فى أفراح الأنجال، وديناموا التجهيز لسفريات المصيف والمشتى، وعلى علم ببواطن أنواع دخان البايب والقهوة سادة ولاّ زيادة، ويتقدم دائما جنازة أقارب رئيسه بصدر مكلوم ووجه مغموم برغم عدم سابق معرفة، وتراه فى السرادق واقفا حزينا، مكسور الخاطر - وأحيانا تطفر الدموع من عينيه - وهو يتلقى العزاء مع باقى أفراد الأسرة ، فهو يطبق المثل المعروف بحذافيره «لما حمار العمدة مات كل البلد بكت عليه، ولما مات العمدة مالقوش اللى يدفنه»!

قاعدة الصواريخ الضاحكة !
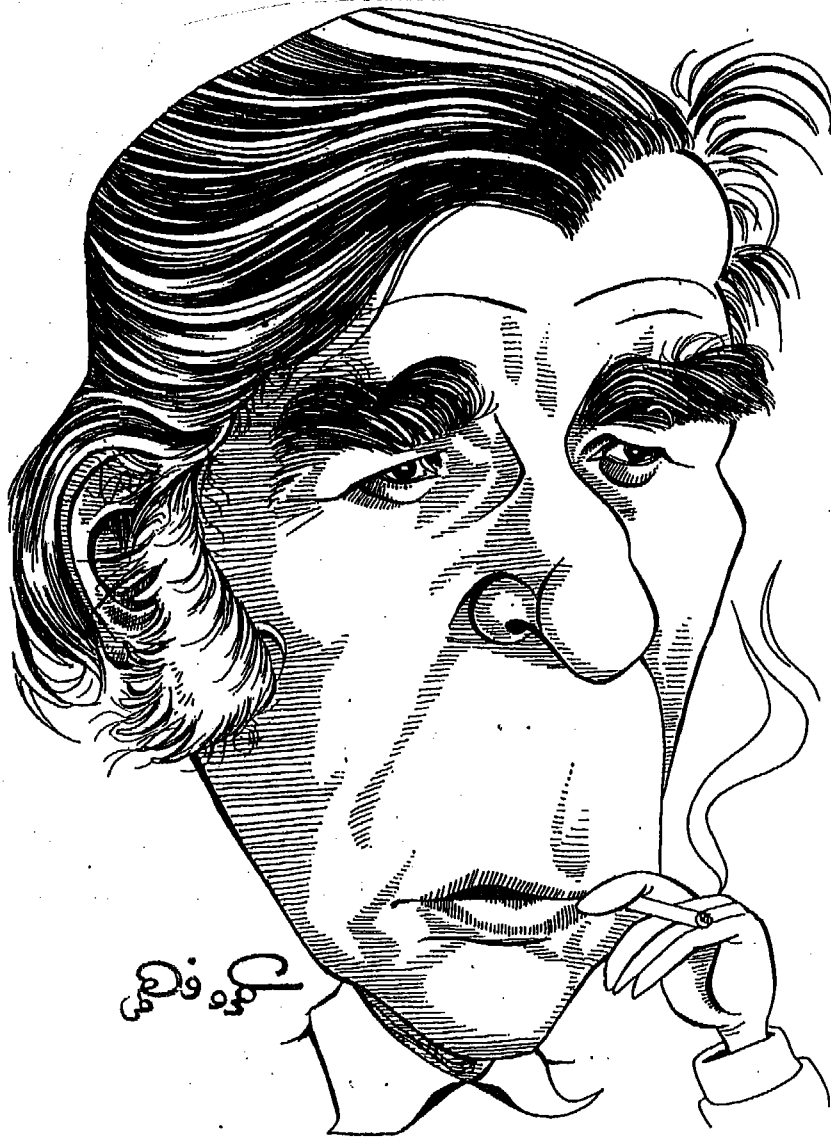
أحمد رجب كاتب ساخر يوجه كلماته وكأنها قذائف من بندقية آلية، العبرة عنده ليست فى كثرة الكلام وإنما فيما قل ودل من صواريخه الضاحكة التى يهديها للقراء كل صباح، «فكلمة ونص» أكثر عمقا وتأثيراً من كتاب كامل!

أحمد رجب يرى أن النكتة لا تظهر إلا فى عصور الدكتاتورية والظلام، وتختفى تماما فى جو الحرية والديمقراطية، كما أنه يرى أن الشعب المصرى كان ساخرا على مر العصور، يعتبر النكتة جزءا من شخصيته وميراثه العظيم منذ أيام الفراعنة، فالنكتة مع الكلمة الساخرة كانتا أقوى الأسلحة المعبرة عن القوى الكامنة فى نفس شعبنا، ورغبته فى التمرد، وكان ذلك ليس له أى علاقة ، كما يتصور الآخرون - بالعجز أو الاستكانة!

عرفت أحمد رجب فى أخبار اليوم، فهو الشاب الذكى المتدفق بالحيوية الذى أتى من الأسكندرية، وكان يرتدى البدلة البيضاء «والبوبيون» فى المناسبات، وكان يجهز نفسه ليلتحق بالكلية الحربية لولا أن رجع من أمام أسوارها قبل أن يقدم أوراقه، والتحق بحقوق جامعة الاسكندرية، وبعد أن تخرج التقى بصياد المواهب الكاتب العملاق على أمين الذى تنبأ له بنجاح ما بعده نجاح فى دنيا الصحافة !

ومنذ البداية ظهرت ملامح النبوغ على هذا الصحفى الموهوب، وأكتشف أستاذه أن له أسلوبا متفردا وقدرة فائقة على الغوص فى أعماق عيوبنا السياسية والأجتماعية، واستطاع - فعلا - فى سنوات قليلة أن يصبح نائبا لرئيس تحرير مجلة «الجيل» حيث تعاون مع الكاتب المرموق أنيس منصور .

وعندما انتقل على أمين إلى دار الهلال كان من بين أفراد فرقة «الصاعقة» الصحفية الذين أخذهم معه، وبدأت ضرباته الصحفية !

ولم يكن أحمد رجب فى بداية حياته كاتبا ساخرا، ولكنه كان صحفيا يقوم بالتحقيقات والأخبار، وكون صدقات حميمة مع كبار الشخصيات السياسية والثقافية والفنية، وكان من المقربين للرئيس أنور السادات، وموسيقار الأجيال محمد عبد الوهاب، وكوكب الشرق أم كلثوم، والعندليب الأسمر عبد الحليم حافظ، والموسيقار كمال الطويل، ونجمة الغناء والتمثيل شادية، والمخرج الذى يعتبره أرقى من قدم البسمة فى السينما المصرية وهو فطين عبد الوهاب !

وكان يعتبره التوءمان مصطفى وعلى أمين «ألفة» تلاميذه فى أخبار اليوم، وأتجه فى منتصف الستينات إلى الكتابة الساخرة، وبذلك أنضم إلى كتيبة الساخرين !

الكاتب الساخر أحمد رجب تركته رفيقة عمره بعد أن أعياها داء القلب، وعجزت بقلبها الواهن على مواصلة الرحلة معه لتحمل أعباء الحياة، وهو لم ينجب أولادا.

وعندما تقترب من الكاتب الساخر أحمد رجب ستكتشف أنه طيب القلب للغاية برغم القسوة فى بعض كتاباته، فهو من هذا الصنف من الناس الذين لا يعرفون أى معنى للكتمان، فما فى قلبه دائما على لسانه، وهو أليف المعشر ودود جدا إلا إذا أثرته، أو إذا أحس بأن هناك ظلما يعانى منه إنسان لا يستطيع الدفاع عن نفسه، فهنا يتولى أحمد رجب الدفاع عنه ببسالة حتى لو كسر الحواجز !

وأحمد رجب يدرك معنى الصداقة ويفرق بينها وبين الزمالة، ولم يخاصم البسطاء فى حياته ولكنه كشف انحرافات بعض «علية» القوم وتابعهم فى أبراجهم العاجية !

رأس الكاتب الساخر أحمد رجب مليئة بالأفكار الكاريكاتيرية لشخصيات نقابلها فى حياتنا، و أبدع فى رسمها فنان الكاريكاتير الموهوب مصطفى حسين، وجسم العيوب البارزة فى نظامنا الإجتماعى !

والكاتب الساخر أحمد رجب على خصومة دائمة مع الممثلات التافهات اللاتى انتقلن من العمل كشغالات فى البيوت إلى نجمات فى الصف الأول !

كما أنه يشن حملة شعواء على تعطيل العمل فى المصالح الحكومية، ويهاجم الروتين!

والكاتب الساخر أحمد رجب تجاوز فى عطائه الإبداعى حدود الكلمة المكتوبة، فقد تواصل فى عشرات الأعمال الإذاعية الرمضانية التى رسمت البسمة على شد الملايين، ومن أعماله الشهيرة فى السينما فيلم «نص ساعة جواز» لشادية ورشد أباظة، وفى التليفزيون له عدة أعمال أشهرها : محاكمة على بابا - فوزية البرجوازية - الوزير جاى !

أما كتب الساخر أحمد رجب فهى حكايتها حكاية، ففى كتابه «أى كلام» يتذكر كيف أن الصحافة عرفت أنواعا من الصحافيين الإنتهازيين الذين باعوا أنفسهم بثمن بخس، وبعضهم كان يعرض عنوان الصحيفة على الصول زكى، وبعضهم كان يكتب

تقارير ظالمة عن زملائه لمباحث أمن الدولة !

وفى كتابه «نهارك سعيد» ١٤ قصة ينفد خلالها إلى معظم عيوب المجتمع بخفة دمه التى تصل إلى أعماق الأعماق !

أما كتابه «كلام فارغ» فيحاول فيه أن يضحك القارئ على عيوبه بدون كلمة مسفة أو أى إفتعال لموقف !

وبينما نجد فى كتابه «جدا جدا جدا» المبالغة فى عيوب ضحاياه الذين ذبحهم بسكين غير حادة، نجده فى كتابه «الأغانى للأرجبانى» يسخر من مؤلفى الأغنية والملحنين والمطربين، وفى هذا الكتاب نكتشف أن أحمد رجب كان يتمنى أن يكون ملحنا عظيما مثل عبد الوهاب أو مطربا محبوبا كعبد الحليم حافظ، وكانت أمنيته فى شبابه أن يمتلك عوداً !

وفى كتابه «الحب وسنينه» نرى الصراع الأبدى بين الرجل والمرأة الذى تنتصر فيه المرأة لأنها الأكثر ذكاءً، ولأن الرجل الأطيب قلبا، وكذلك فى كتابه «مآسى ضاحكة» نرى عذاب كل يوم فى حياتنا المعاصرة !

وفى هذه الكتب وغيرها نلاحظ أن أحمد رجب استوعب جيدا الدرس الذى تعلمه من أستاذه على أمين، وهو أن يختصر حين يكتب، وأن يختزل الصفحة فى سطر، والسطر فى جملة، والجملة فى كلمة، والكلمة فى حرف ، أى بإختصار يخوض معاركه بكلمات قليلة !

إن أحمد رجب فى كل كتبه يحاول أن يقول لنا ألا ننفصل عن الواقع وألا نحلم بأشياء غريبة لا تتناسب مع واقع الحياة، ونجد هذا واضحا جدا فى بعض المقالات التى يكتبها أسبوعيا فى أخبار اليوم ويسميها «فهامة» فهى صورة عميقة تنفد إلى كل ماهو خطأ فى حياتنا السياسية والإجتماعية !

وما أروعه عندما تكون الوزارة فى المغارة، فهو من خلالها يشن حملة على القرارات الوزارية التى تفاجئ بها الجماهير دون أى تحضير أو دراسة، أو عندما يدخل مقهى الموظفين الذين يجلسون عراة إلا مايستر عوراتهم فنجدهم يتحدثون عن معاناتهم مع العلاوات والدرجات والحوافز !

باختصار فإن الكاتب الساخر أحمد رجب يميزه أسلوب بسيط رائع وسخرية مريرة على أحوالنا التى ليست كلها ... على خير ما يرام !

العشرة الأشرار

خد بالك من أبو عوضين وأبو خفين وأبو عتريس وأبو إلهامى وأبو عبد الكريم وأبو رجل مسلوخة وأبو يد خفيفة وأبو بطن واسعة وأبو ضمير أستك وأبو ذمة تبلع محيط، فهؤلاء العشرة الأشرار هم عتاولة السوق السوداء فى الأسمنت بعد أن تحولوا إلى «قبضايات» ينافسون بلطجية الملاهى الليلية، وأشعلوا النار فى عز الصيف على شغل المعمار، فزاد سعر الطن الواحد مائة جنيه فوق سعر المصنع الذى أصبح الباحث عنه كمن يبحث عن دبوس إبرة فى كومة قش، أو من شاء سوء حظه أن تتوحم حرمه المصون وجوهرته المكنونة على كوب من لبن العصفور الدافئ !

هؤلاء العشرة يشبهون فى الكوتشينة «بالكومى والبصرة والولد الذى يقش كل مافى السوق» ويكدسه فى مخازن لإحداث اختناقات مفتعلة تؤدى إلى قلة المعروض، وبالتالى اشتعال الأسعار، ليس وفقاً للعرض والطلب الفعلى، ولكن طبقاً لحجم «الهبرة المعتبرة» التى يريدونها لزوم الأبهة والفخفخة ومضاعفة الأرصدة الفلكية !

العالم الخفى لهؤلاء العشرة الذين يتحكمون فى تجارة الأسمنت ويحركونها وهم جالسون فى مكاتبهم يمتد إلى خلايا من التجار الكبار والمتوسطين والسماسرة والصبيان والمتحكمين فى التوزيع والشحن، وينضم إلى بلاطهم حفنة من الموظفين أصحاب الأختام والتوقيعات الذين يجيدون الصيد فى الماء العكر ! الصيد هنا حصيلته ترد الروح، لأنها شوية «أساتك» وأرانب وأحياناً ڤيلات وسيارات ومنتجعات على الشواطىء، فالمسألة بسيطة جداً، مجرد تمرير مجموعة الأنونات أو التصاريح بأسماء الأقارب والأصدقاء والجيران وبيع حصتها على الورق مقابل الآلاف، ويكفى أن تعرف أن زيادة عشرة جنيهات فى الطن الواحد تقفز بالمكسب إلى ١٠٠ مليون جنيه زيادة سنوياً، يعنى ستلبس بعد الضنا حرير فى حرير يامرجانة !

وقد وصل الجشع بهؤلاء العشرة إلى تخصيص رشاوى مغرية يدفعونها لبعض ذوى النفوس المريضة من أجل القيام بتعطيل خطوط الإنتاج، حتى يحكموا قبضتهم على مداخل ومخارج السوق، ويحتكروا كل الإنتاج المتمثل فى ١٦و٥ مليون طن من ثمانية مصانع، تغطى استهلاكنا وتفيض!

إننا مطالبون بوقفة حازمة تسحب البساط من تحت أقدام العشرة الأشرار الذين احتكروا هذه السلعة الاستراتيجية الهامة، بعد أن أعطوا ضمائرهم أجازة مفتوحة، واستهانوا بكل القيم والمثل الشريفة، ولن تكون تلك الوقفة مثمرة إلا بمراجعة فحص مستندات البيع والتصاريح التى أصبحت على قفا من يدفع، وإحكام الرقابة على منافذ التوزيع بالإصرار على المضى قدماً فى نظام «الوكلاء» الذى بدأنا تطبيقه وحاول أباطرة الأسمنت أن يستعرضوا أمامه عضلاتهم من أجل إفشاله ودفنه تحت الأنقاض!

الطيب صالح

الطائر الجنوبى

اسم على مسمى، ويتوج هذا الاسم المرموق مواقفة الحضارية فى رواياته التى تكشف عن فنان أصيل ذى عقل مستنير وقلب كبير !

وبرغم أنه عاش معظم سنوات حياته فى الغربة لأنه حصل على شهاداته العليا من انجلترا وتفانى بإخلاص وتفوق فى كل عمل أسند إليه سواء فى إذاعة لندن العربية أو فى وزارة الإعلام القطرية أو فى اليونسكو، فإنه شديد الإنتماء إلى الأرض التى أخرجته ودرج أرضها طفلاً وصبياً وشاباً يافعاً، وهو - كذلك - لاينتزع قدميه من وطنه العربى الكبير بكل ما فيه من تراث روحى وتجارب حضارية واسعة وأساطير شعبية وسنوات هادرة من الظلم والظلام تطغى على العقل الباطن وتتلاقى فى صراع حاد مع الحضارة الغربية !

عرفته واقتربت منه فى «الدوحة» بعد أن أصبح نجماً من نجوم الرواية الحديثة، واكتشفت أنه عاشق لمصر والمصريين ومغرم بالقاهرة ولا غرام قيس لليلى وكثير لعزة وجميل لبثينة، فهو يعتبرها أجمل العواصم العربية وأقربها إلى قلبه، كما أنه يتباهى دائما بأن النيل يجرى فى عروقه، وأنه تعلم منه الصبر والحكمة وكل الصفات الأخرى النبيلة، وتوقفت معه ذات مرة عند أمرين : حبه للنبش فى التراث والماضى بحثاً عن الجذور، وكرهه لرؤية غروب الشمس لأنها تذكره بالحزن وتحرك فيه كافة الأوجاع الإنسانية المكبوتة!

روايات الأديب السودانى الطيب صالح اختلف حولها مشاهير الكتاب والنقاد، وبرغم إجماعهم على تميزها إلا أننى - شخصيا- من عشاق «بندر شاه» لأنها إبداع جرىء يشفى غليلك من الواقع الذى تعيشه، عندما تنبهك بسخرية لاذعة إلى مكامن الداء، وترصد العيوب والهموم بدقة وأمانة، وكأنها تدلك على طوق النجاة المتمثل فى حاجتنا القصوى إلى مشرط جراح يزيل من حياتنا تجاعيد الكسل والتبلد والترهل والسلبية والنفاق والدجل والفساد وكل الفيروسات المهلكة

التى علقت بأجسادنا ونفوسنا وأصبحت تنخر اللحم والعظم والعقل أيضاً!

«فالطاهرولد «الرواسى» واحد من أبطال تلك الرواية المغرقة فى المحلية السودانية، وبرغم ذلك فإن إشعاعها يتجاوز الزمان والمكان لتصبح صرخة الإنسانية أينما كانت!

إنه لايتجمل، ولا يتردد فى مسح المساحيق من على وجه الفوضى المنظمة فى حياتنا وتعريتها حتى من ورقة التوت التى تغطى عورتها، ولهذا نراه يقول للنمر الهرم «محجوب» ليس غريباً أن يصبح «الطريفى ولد بكرى رغم عجزه عن إدارة الجمعية التعاونية وزيراً فى يوم من الأيام.. أيوه وزير مرة واحدة.. لأن المسألة ليست بالكفاءة ولكن الموضوع كله أونطة فى أونطة.. وإذا لم يجدوا له وزارة فاضية فلن يغلبوا حيلة، سيفصلون له وزارة جديدة، قد تكون وزارة الجمعيات الخيرية أو وزارة الوابورات أو وزارة الأجزخانات.. فالمهم أن يكون وزيراً لأى شىء من جنس «اللغاويص» التى تعوض تفانيه فى مسح الجوخ وبوس الأيادى !

وهو كذلك يضع لمحجوب شروطاً للنجاح وتحقيق المغانم، تتمثل فى فصاحة اللسان والانضمام للحزب القومى ورش شوية خطب وشوية عزايم على شوية دجل لغاية ما يلاقى نفسه عضواً سميناً فى البرلمان!

بهذه الصورة الكاشفة وغيرها يقدم لنا الطيب صالح فى واحدة من أه رواياته ذلك النموذج المريض الذى يكافأ على وبائه بأعلى المناصب، وهى د تجعلنا نصفق لمهرجان أصيلة الثقافى فى تونس على تكريمه ولإسهامه ، الأشعاع الفكرى وإثراء المتخيل العربى.

الحكيم ساخراً

كان توفيق الحكيم من عشاق فن الكاريكاتير،لأنه فن قديم قدم الإنسانية نفسها!

وإذا كان الرسامون قد عرفوا كيف يسخرون منذ القدم، فإن الشعراء والكُتّاب عرفوا - مثلهم - كيف يهجون!

وكثيرا ما فرق كاتبنا الكبير بين الهجاء والكاريكاتير، فكل كاريكاتير فيه نوع من الهجاء، ولكن ليس فى كل هجاء نوع من الكاريكاتير، لأنك بالهجاء تريد أن تنال من الشخص الذى تهجوه سواء بالحق أو الباطل، بالحقيقة أو بالافتراء، أما الكاريكاتير فهو شىء آخر، يجسم العيب الحقيقى ويضخمه ويبرزه حتى يقنعك بطغيانه على بقية الصفات!

ولأنه كان من أكبر الأدباء اطّلاعا على تراثنا العربى والآداب العالمية، فقد رأى أن «الجاحظ» هو أسبق الكُتّاب إلى التصوير الكاريكاتيرى عندما جعل أهل عصره يستلقون على قفاهم من الضحك وهو يمسح البلاط بصفات خصمه «أحمد بن عبد الوهاب» أو الشخصية التى جعلها هدفاً لسخريته اللاذعة، بعدما تقمصته روح الكاريكاتير بدون أدنى اختلاق أو تلفيق أو هجاء ممقوت!

وقد حفلت روائع الحكيم نفسها بالروح الساخرة، وخاصة فى «حمار الحكيم»، و«يوميات نائب فى الأرياف»، و«عمارة المعلم كندوز»، و«ياطالع الشجرة»، و«صحصح الحبوب» و«رصاصة فى القلب» وغيرها، كما أن الأديب الخفيف الظل بعينيه الواسعتين وفمه ذى الشفاه العريضة والبيرية والعصا وصفة البخل التى ألصقت به، أصبح مادة خصبة للصحافة ورسامى الكاريكاتير ومداعبات أهل الأدب والفن، حتى أن العقاد بكل وقاره ورصانته قال إنه إجتمع معه مرة فى بيت أم كلثوم، وكان من بين حضور الحفل عبد الوهاب والمازنى والصاوى وآخرون، وطلبت «ثومة» من الحاضرين أن يتبرعوا لنقابة الموسيقيين، فأسرع

الصاوى وقال : أنا أتبرع بمائة جنيه لو تبرع الحكيم بعشرة، وقال المازنى : لست من أصحاب الأطيان وليس معى دفتر شيكات مثل الصاوى، ولكننى أتبرع بجنيهين عن كل جنيه يجود به السيد توفيق، أما عبد الوهاب فقد تظاهر بأنه لايتابع الحديث حتى لا يخسر صديقه، ونظرت أم كلثوم إلى الحكيم ليأخذها من قصيرها ويبدأ التبرع، ونظر هو - بدوره - إلى الصاوى وقال : هات دفتر شيكاتك عشان أدفع منه، ثم قال لأم كلثوم : فتشينى.. أنا لا أتعامل مع الشيكات ولم أتعود حمل النقود فى جيبى، فتطوع الصاوى قائلا : ضحك عليكى يا ست.. الفلوس مخبيها فى جراب النضارة، وأخرجت أم كلثوم - فعلاً - عشرة جنيهات من الجراب وسط ضحكات الحاضرين وتعليقاتهم الساخرة !

لقد استطاع الصحفى الكبير أحمد الصاوى محمد أن يكلف نفس الحكيم فوق طاقتها بإجباره على دفع هذا المبلغ السخى، ومن قبل استطاع أن يقنع الحكيم بالموافقة على أن يحمل صفة «عدو المرأة» فى الصحيفة التى يصدرها بعنوان «مجلتى» ويتخذ لها شعاراً «أنت مع الصاوى تكسب» ، وكسب الصاوى بذلك مجموعة هائلة من القراء الجدد من أنصار المرأة وأعدائها، بينما خسر الحكيم الجنس اللطيف برغم وداعته وألفته وحبه للبشر من الجنسين!

إنها مجرد لمحة عن أديبنا الكبير توفيق الحكيم فى ذكرى رحيله، تذكرنا بعشقه للطرب والفكاهة وخفة الدم، وهى - باختصار - إضاءة خاطفة على هذا العملاق الذى ترك خلفه جبلا من الإبداع الإنسانى!

زهدى الشرقاوى

فنان صلب، جاء من ريف الشرقية، وكان يتباهى دائماً فى جلساته بأنه من بلد الكرام الذين عزموا القطار بكل ركابه على طواجن حمام بالفريك، وكان يتصور عندما جاء إلى القاهرة مزهواً بهذا الحدث الغذائى أن العاصمة سترد له العزومة بأحسن منها، ولكن فوجىء بالجحود من أول خطوة، فقد اضطر إلى بيع البراويز - ياولداه - فى عز الحر فى شارع فؤاد لحساب صاحب محل خشب مسوِّس، وبعد أن نال شهرته كرسّام كاريكاتير أخذوه كعب داير ليصبح نزيلاً دائماً على كل معتقلات مصر من الواحات إلى أبو زعبل وقرة ميدان!

رأيت أول ما رأيت فنان الكاريكاتير زهدى فى الستينات، كان عائداً لتوه من «فندق» الواحات دون أى تخاذل أو تنازل أو رفع للراية البيضاء فقد ظل متماسكا، لم يهزمه المعتقل، ولم يغير أفكاره، ولم تتراجع ريشته الواعية، فهو نفسه ذلك الفتى الأسمر النحيل، المثقف، الذى يحمل بداخله خزينة مليئة بالطلقات ضد محترفى الصحافة والسماسرة الذين يتاجرون بالشعوب والخبز والسلاح، ومحترفى البراويز الذين «دوخوه» فى صباه، ولم يستطع هضم فنونهم الهابطة بعد أن تخرج فى كلية الفنون الجميلة وتتلمذ فى روزاليوسف على يد شيخ الفنانين عبد المنعم رخا!

مشوار عمنا زهدى فى ميدان صاحبة الجلالة بدأ فى مطلع الثلاثينات فى مجلة «غريب» للصحفى محمد على غريب الذى عينه بمرتب ضخم يصل إلى مائتى قرش بالتمام والكمال فى الشهر الواحد، وظهرت رسوماته بعد ذلك فى عدة صحف منها الشعلة والمطرقة والاثنين والمصور والسياسة والكتلة والدستور والوفد المصرى والإخوان المسلمين والأسبوع والجمهور المصرى والكاتب والغد، والزمان التى ابتكر فيها فى أواخر الأربعينات الشخصية الوحيدة التى رسمها فى حياته، وكانت للواد «فلفل» المعجون بماء العفاريت!

وعندما انتقل للعمل فى روزاليوسف ارتبط بشيخ الفنانين رخا الذى كان يستعد لجمع أوراقه وفرشاته للاستقرار فى «أخبار اليوم» لهذا رشحه لخلافته مع عبد السميعوعبد الله ورمزى !

كانت روزاليوسف أهم مراحل حياة الفنان طه ابراهيم العدوى الشهير بزهدى، واستمر عطاؤه حتى بعد ظهور مجموعة جديدة من المشاغبين أمثال جورج بهجورى وصلاح جاهين وحجازى وبهجت وصلاح الليثى وإيهاب وناجى واللباد.

وكان هذا الفنان الأصيل القادم من أعماق الريف يحلم دائماً بأن تظلل رسامى الكاريكاتير نقابة أو جمعية تحميهم وتدافع عنهم، حتى تحقق حلمه بعد ثلاثين سنة من ثورة يوليو، فقد رأى بعينى رأسه مولد الجمعية المصرية للكاريكاتير برئاسة رخا، وكان آخر ما فعله هو تنازله عن رئاستها للفنان مصطفى حسين مع وضع أرشيفه ومكتبته النادرة فى خدمة الجمعية.

المفارقة الغريبة فى حياة الفنان زهدى، أنه كان يعتبر مأمون الشناوى توءم روحه، وكان لايفارقه، وعندما رحل الشاعر الغنائى فوجئنا باستسلام الرجل الصلب للمرض اللعين، ليلحق بصديق عمره فى نفس الشهر!

رحم الله الفنان الكبير زهدى الذى فقده فن الكاريكاتير العربى.

أبو الكباتن
مارادونا !

- اندهشنا ونحن نراه فى «الفورمة» رغم أنفى وأنف الريس متقال والريس بيرة والريس الأرجنتينى كارلوس منعم الذى عارض بشدة اشتراكه فى «موندیال» أمريكا لأنه شمام، فرد عليه نجم نجوم «التانجو» على طريقة نجاح الموجى : لامؤاخذة يامنعم.. مالك ومال الكورة.. ركز دماغك - أحسن - فى إنقاذ الشحاتين والفقراء!

لقد استطاع اللاعب الأرجنتينى، القصير القامة «دييجو مارادونا» أن يتحول عام ١٩٨٦ إلى قطار سريع «مكيف» ولا «التوربينى»، وأن ينتزع لقب النجم الأول فى العالم لمهارته سواء أثناء التحكم فى الكرة والمراوغة أو خلال التمريرات القصيرة والطويلة والتصويبات الجهنمية القاتلة، وأعطاه النقاد شهادة موثقة من الشهر العقارى بأنه فاق البرازيلى بيليه والمجرى بوشكاش والألمانى بيكنباور والفرنسى فونتن والهولندى كرويف، ونسوا عادل عبد الرحمن وعمرو أنور ونبيل محمود وعفت نصار!

كانت بداية لمعان الساحر مارادونا (٣٤ سنة) فى نهاية السبعينات عندما قاد الأرجنتين للفوز بكأس العالم للشباب فى طوكيو، وفى نفس الدورة لعب «مارادونا النيل» طاهر أبو زيد، وبينما أصابت عين الحقد والحسد أخونا طاهر، ارتفع سعر اللاعب اللاتينى بسرعة الصاروخ حتى وصل سعره إلى ٩ ملايين دولار منذ ١٩٨٥، ثم قاد فريق بلاده فى عام ١٩٨٦ إلى الفوز بكأس العالم، رغم أن الصحافة الإنجليزية وصفته بالغشاش والمخادع لأنه أحرز هدفا بيده وأنكر ذلك - وقتها - ثم اعترف فيما بعد أنه خدع الحكم التونسى على بن ناصر ، وأنه اضطر للكذب حول صحة الهدف حتى يفوز على الإنجليز الذين أذلوا بلاده فى حرب «فوكلاند»، ويكفيه فخرا أنه «مرمط» بكرامتهم أرض الملعب عندما قام بترقيص نصف فريق الأسد البريطانى «المرعب» وحارس المرمى مسجلا هدفه الثانى التاريخى!

واللاعب مارادونا وجهه مألوف عندنا نحن المصريين، فهو قريب الشبه من المطرب الشعبى أحمد عدوية ورائد المسرح الغنائى «الفاسكونى» حسن الأسمر، وقد ازداد هذا الشبه بعد اعلان توبته عن المخدرات وعودته إلى الملاعب بالحلق و«الدبلة» فى أذنه، وبعد أن تخلص من شعره الطويل الذى كان ينافس به راقصات التانجو والعشرة أرجنتينى!

وقد اتهم فى إيطاليا بأنه على علاقة بعصابات المافيا التى تقوم بتخدير لعيبة الفريق المنافس حتى ينجح فى ترقيصه، كما أنه أقام حفلاً أسطورياً لزفافه، قامت فيه ابنتاه برفع فستان زفاف أمهما العروسة، ووقتها نصحه الأصدقاء بنقل الدبلة من أذنه إلى يده، ولكنه أصر على الاحتفاظ بالدبلتين والإسورة!

واللاعب الشهير مارادونا من أكثر اللاعبين الذين يتعرضون دائما للضرب والأذى فى الملاعب عندما يفشل رجال المشاة والمدفعية والحدود على خط المرمى فى منعه من إحراز الأهداف أو شل خطورته كصانع ألعاب، وفى هذا المضمار تفوق مارادونا على مطرب الأخبار فى حجم الضرب الذى يتلقاه باستمرار، والفرق بينهما أن اللاعب الموهوب مستهدف فى قدميه وساقيه، بينما مطرب الأخبار - ياعينى - مضروب ليل نهار على قفاه!

وكانت مفاجأة المفاجآت عندما طردوا من الملاعب مارادونا بطل مونديال (٨٦) وثانى مونديال (٩٠) والمرشح لمونديال (٩٤) لأنه محترف تعاطى منشطات، فقد تعاطى مادة «الإفيدرين» المنشطة التى جعلته يجرى فى الملاعب ولا أجدع حصان عربى.. عجبى!

القط ديزنى المظلوم !

تصور ماذا سيكون رأيك لو قالوا لك إن العقاد مجنون، أو إن طه حسين كان عميلا لموسولينى، أو إن يوسف وهبى وزكى طليمات ويوسف إدريس وصلاح چاهين كانوا مرشدين فى جهاز أمن الدولة؟!

لا شك أنك ستنفعل، وستغلى الدماء فى رأسك، وقد يفلت عيار أعصابك وتخلع «الحذاء» القديم من قدمك وهات يا ضرب على أم رأس هذا القزم المعتوه الأبله الذى يتصور أنه يستطيع القفز إلى قمة المجد عن طريق الإساءة لسمعة المشاهير!

للأسف حدث هذا فى أمريكا.. ومع من؟! مع والت ديزنى.. أبو الرسوم المتحركة فى العالم، وعمدة سينما الأطفال والخيال، وصاحب أشهر المدن الترفيهية، والذى لا يزال اسمه - رغم رحيله عام ١٩٦٦ - يدوى كالطبل فى كل الدنيا، فهو أشهر من كل رؤساء أمريكا بداية من چورچ واشنطن إلى بيل كلينتون!

والت ديزنى - أو «العم والت» كما كانوا ينادونه - متهم بأنه كان متعاطفا مع النازية، ومعارضا لدخول أمريكا فى الحرب العالمية الثانية ضد ألمانيا، وأنه ظل ٢٦ عاما يعمل فى مكتب التحقيقات الفيدرالى (إف. بى. آى) كمخبر سرى على زملائه الفنانين، بدون ارتداء البالطو الأصفر والجلابية المخططة والطاقية الشبيكة واللاسة والخرزانة الميرى، وأنه عاون «المكارثية» فى أوج مجدها - والتي يعتبرها الأمريكيون كابوسا لا يحبون تذكره - وأنه «فقع» العظيم شارلى شابلن مهموزا متينا فى صورة تقرير كاذب فاق تقارير هيئة التنوير وهيئة التصحيح وهيئة التحرير رحمها الله!

لقد جاءت كل الاتهامات وغيرها فى كتاب «والت ديزنى أمير الظلام فى هوليود» لمؤلف «ضارب» اسمه «مارك إليوت» وصل تلطيخه لأبو الأطفال إلى حد

الإيحاء بأنه مجهول الأب، ومحب للعزلة، وسكير، وعاجز جنسيا، وسارق لأفكار تلاميذه من الرسامين الموهوبين بما فيها فكرة «ميكى ماوس» شخصيا، فهى ليست من ابتكاره ، ولكنها من إبداع رسام موهوب مهضوم الحق أدبيا وماديا اسمه «ايوركس»!

والخلاصة أن هذا الكتاب لم يترك جانبا مظلما إلا وألصقه بالفنان الموهوب الذى استطاع خلال نصف قرن أن يسيطر على امبراطورية الفكاهة والترفيه فى العالم، فهل ينجح الفأر «إليوت» فى بهدلة القط «ديزنى» كما يحدث دائما فى أفلام الكارتون، أما أن القضايا التى رفعها ورثة الفنان ستضع نهاية لتلك الافتراءات الظالمة؟!

أرانب «حكيم» حضرتك ؟!

باع الفنان الكوميدى جورج سيدهم فى فيلم «غريب فى بيتى» شقته مرتين قبل أن يهاجر إلى أمريكا مودعا كل من اشتراها بقوله : «أشوفك أمس».. وقد كرر نفس المشهد - مع الفارق - تاجر الكاوتش والبطاريات الذائع الصيت جورج حكيم عندما «هبش» ٥٠ مليون أرنب سمين من بنكين استثماريين و١٥ رجل أعمال وبعض العملاء، «وفلسع» للخارج مكتفيا بالاعتذار لضحاياه من السذج والبلهاء بقوله : «سامحونى.. فكلى ذنوب».. وكأنه أراد أن نمسح ذنوبه فى النصب والتزوير.. وأن ينبهنا إلى ذنوبه الأخرى مع هؤلاء المرتشين الذين سهلوا له الحصول على تلك الغنيمة العظيمة بطرق غير مشروعة شجعته على الهروب تحت سمع القانون وبصره فى طائرة ميمونة ليعيش فى التبات والنبات فى ولاية «نيوجرسى» بأمريكا، منضما إلى نادى مصر المحروسة للنهب الدولى الذى يرفع شعار : «خد الفلوس واجرى.. واللى يحصلنى يكسّرنى.. والعاقبة عندكم فى العشوائيات»!

المليونير جورج حكيم استعد ليوم الهروب الكبير منذ ثلاثة أعوام، واستخدم الاحتياط والحذر وإغراءات المال فى كل تحركاته فى الأيام الأخيرة، وأسدل الستار على مسرحيته ذات الخط الدرامى البارع بنهاية هزلية عندما أعطى موعدا لدائنيه من رجال البنوك والتجار العظام للاتفاق على جدولة ديونه، فى نفس الساعة التى كانت فيها طائرته قد غادرت الأراضى المصرية، ورصيده فى بنوكنا ينافس الحديدة، ومقتنياته الغالية مباعة بالكامل بحيث لم يتبق من كل ثروته إلا جدران الدكاكين وقليل من فرد الكاوتش ذات الـ ٢٠٠ جنيه للجوز!

المحتال «الحكيم» استطاع بذكاء وخفة يد و«يابخت من نفع واستنفع» أن يحصل على كل تلك الأموال الطائلة رغم أنه لم يكن يملك مصنعا للإنتاج أو سيقيم مشروعا استثماريا ضخما لتشغيل مئات الأيدى العاطلة، فكل نشاطه كان

محصورا في التوكيلات التي لاتتضمن أدنى مخاطرة حتى نقول إنه خسر تلك الأموال!

وقد اكتشفنا - ياعيني - بعد هروبه أن هناك تسيبا بالبنوك في إدارات الائتمان والتحرى والاستعلام، وإصرارا من الجهاز المصرفي على عدم عودة أجهزة الرقابة الأمنية لمتابعة وكشف الانحرافات أولا بأول، وأن بعض تلك البنوك تدخل في منافسات محفوفة بالخطر بحجة التخلص من السيولة الضخمة وعدم وجود خطط محددة ومضمونة للاستثمار، وغير ذلك من المبررات التي لانكتشفها إلا عندما يلدغنا أحد عتاولة الأكل والشرب الحرام!

وإذا كان جورج حكيم لم يحرص قبل سفره على أى شيء يشتريه كتذكار للأرض التي تمرغ فوق ترابها غير شريط كاسيت وحيد للفنان الكبير محمد عبد الوهاب تسأله فيه الفنانة راقية إبراهيم : «حكيم روحاني حضرتك؟!»، فإن تلك اللمسة جعلت الدموع تطفر من عيني التي أصابها «الحول» من الغيظ والقهر والقرف وأنا أسأله : «ما حدش في المطار سألك وانت مقلسع : حكيم أرانب حضرتك؟!».

هتلر «المعدل»
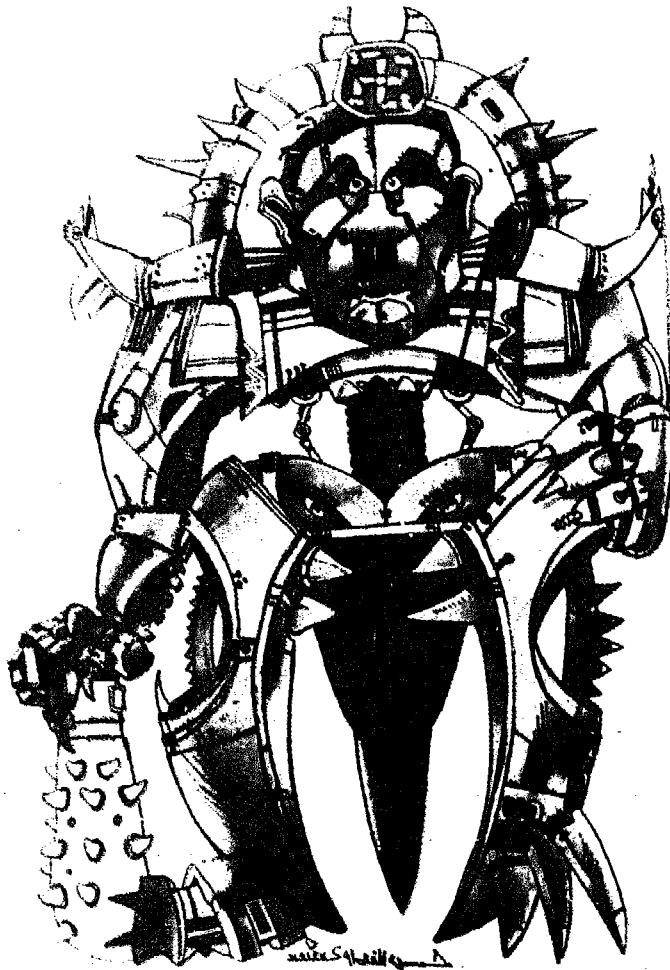
عجيب أمر هذا العالم، فقد أقام فى عام ١٩٩٥ احتفالاً مهيباً بمناسبة مرور خمسين سنة على انتحار الشاويش النمساوى والرسام الردىء أودولف هتلر مع زوجته أيفا براون فى عش الذئب، واستسلام المانيا بدون قيد أو شرط فى ٧ مايو ١٩٤٥، معلنة نهاية الحرب العالمية الثانية التى شوت بنيرانها ٤٥ مليون ضحية يمثلون كل الأجناس والديانات، لمجرد أن هذا الطاغية المجنون تصور أن الجنس الآرى هو سيد أجناس الأرض، وأن بقية الشعوب حشرات يجب إبادتها أو بقاء بعضها للخدمة ومسح بلاط أسيادهم «الچيرمان»!

المشكلة - بصراحة - لم تعد محصورة فى النازى هتلر، وإنما فى العشرات من تلاميذه النجباء المعاصرين الذين استوعبوا دروسه وتعاليمه وحفظوها عن ظهر قلب، وأصبحوا خبراء بارعين فى القمع والقتل!

ولهذا اقترح استبدال هذا الاحتفال التذكارى بإقامة مهرجان عالمى فى نفس الموعد، نستعرض فيه كيف ضاعت حقوق الإنسان على مائدة اللئام فى ليبيريا وأفغانستان والسودان وچورچيا والبوسنة وأنجولا وكمبوديا ورواندا ونيچيريا وجمهوريات الموز وهاييتى وسيرلانكا وغيرها من الدول التى أبتليت بنموذج «هتلر المعدل» الذى اعتلى كرسى الحكم تحت أعلام الثورية والشرعية والإنقلابية وتبنى النظريات الحلمنتيشية والعنصرية والعرقية، وتفوق فى الأداء الدموى، فهو قادر على اقتلاع جذور مدن بأكملها فى لمح البصر، والقاء معارضيه بالجملة للأسود والنمور والضباع الجائعة ولا من شاف ولامن درى، بينما فضل بعض هؤلاء الطغاة الاستفادة بلحوم الخصوم السياسين مثل الشاويش المعظم امبراطور أفريقيا الوسطى الفخيم السابق «بوكاسا الأول» الذى كان يضع كل من يخالفه الرأى فى «ديب فريزر» ويسحب منه كل يوم شرائح لعمل الكفتة والطرب والكباب!

وليكن هذا الاحتفال غير مقصور على محاكمة كل هتلر معدل، ولكن يجب أن

نوقف فوراً هؤلاء المجانين الإنتحاريين الذين يمتلكون القنابل والرءوس النووية والأسلحة الكيمائية والبيولوجية والصواريخ القاذفة والعابرة لـــلأرض والجو والبحر، لأن هؤلاء يهددون هذه الدنيا الجميلة الرائعة ويحولون أنهارها الصافية ذات المياه الزرقاء إلى مجار مصبوغة بالدم الأحمر وأشلاء الضحايا!

ولهذا ملعون أبو هتلر القديم، وملعون أبو كل فتوات العالم الجديد!

« حنكش »
الغائب الحاضر

إذا كنت لم تعرفه أو تسمع عنه، فهو من ألمع الظرفاء الذين أنجبتهم لبنان، وعندما عاد إلى وطنه بعد ثلاثين عاما من الغربة في البرازيل، قال عنه أحد الكتاب: لقد أعادوا لهذا البلد شيكا بمائة مليون دولار!

وقد كان - فعلا - الكاتب الساخر نجيب حنكش أغلى من الذهب وكل العملات «الهايفة والصعبة»، لأن رواد الضحك عملة نادرة في كل الشعوب، فمن السهل أن تحرض الإنسان على البكاء وشق «الهدوم» لكن من الصعب أن تجعله يضحك!

أما السبب الذي ترك من أجله حنكش بلده لبنان إلى أرض الله الواسعة، وراء البحار، في مجاهل البرازيل فهي تتلخص في رسوبه في الصف الواحد سنتين ونصف، وفشله في علم الحساب، ومطالبته بالتصديق على شرعية الضرب لأجل عيون جدول الضرب، وخناقات أبناء وطنه المستمرة مع أحرف الجر، وكان، وإن، وأخوتها.. ثم - وهذا هو المهم - انعدام الكفاء ة في السرقة لإرضاء رؤسائه الشرفاء!

ولما ركب الباخرة الفرنسية وقف يلقي النظرة الأخيرة على الجبل والشاطيء، وشعر بأن في عينيه دموعا تريد أن تخرج، وأن الدنيا تدور به بعد أن دارت عليه، وقال في نفسه، لماذا الحزن على وطن لم يشعر فيه بأي عزة، ولماذا البكاء على بلد لم يعرف فيه غير الفقر والمتاعب والحرمان، ولكنه حب الوطن الذي قال فيه الشاعر «بلادي وإن جارت عليّ عزيزة.. وأهلي وإن ضنوا عليّ كرام»!

كان قلم حنكش يرقص على الورق في مرح، ويجعل الوجوه المتجهمة العابسة تبتسم وتنفرج، خاصة عندما يحدثك عن «الزحلاوي» الذي هو صورة طبق الأصل من ابن عمه «الصعيدي» القح ابن فرشوط وأبو تشت.. أو عندما يجعلك تستلقي على ظهرك من الضحك من نوادر أبو الشام، أو ابن منطقة «البسطة» الذي لا

يرى فرقا بين عرض الإنسان وعرض الوطن، فكلاهما يُباع ويُشترى فى غياب الضمير!

وبرغم كل قسوة الظروف التى عاشها حنكش والبهدلة والغربة والتلطيم، إلا أنه أصيب بالاكتئاب وفاض قلبه بالحزن وهو يرى وطنه يتمزق بأيدى أبنائه، بينما الربوع الجميلة قد تحولت إلى أطلال، ولهذا صرخ قبل أن يودعنا وهو يقول: الوحل حولنا، وحوالينا، ونشتكى ونتذمر.. الكثير منا يكذب ليل نهار، صيفاً وشتاءً، خريفا وربيعا، ولا يسمح لغيره بكذبه واحدة، ولو كانت كذبة نيسان (أبريل)، فالعالم كله يحتفل بالكذبة أول أبريل، أما نحن فنقيم لها الاحتفالات طوال العام، فكل الأشهر عندنا نيسان!

ويتعجب حنكش من حال وطنه الذى يقاتل فيه البعض الملائكة فى سبيل الحصول على كرسى الحكم، وعندما يعتليه يقاتل السماء والأرض للاحتفاظ به أكبر وقت ممكن ولو خربت المسكونة. فالفوضى المنظمة التى ننعم بها فى الوطن الصغير هى فى رأينا من صنع الاستعمار، وفقدان هيبة الحكم ليست من صنعنا ولكن المسئول عنها هم موبوتو ولومومبيا وكازافوبو وتيتى تيتى وشوشو شوشو.. ولكل هذا وذاك يسير لبنان نحو أهدافه العليا، ولكن سيره فى الليل فقط، لأن معظم اللبنانيين يكونون نياما فى الصباح!

آه.. لو كان حنكش يعيش أيامنا..

بديع خيرى

بعد الهنا بسنة !!

عندما نعتزم الاحتفال بالمشاهير الذين شاركوا فى صنع وجدان هذا الوطن من خلال ماتركوه من تراث ثقافي وفني، فمن الواجب أن نتحرّى الدقة حرصا على عدم امتداد العشوائية عند تكريمهم!

أقول هذا بمناسبة الدعوة التى أطلقها بعض الكُتاب مستعجلين أجهزة الثقافة والإعلام بأن تجهز تجهيزا ضخما للاحتفال بالعيد المئوى للكاتب الفنان بديع خيرى باعتباره من مواليد ٨ أغسطس ١٨٩٤!

ولأن الأعمال بالنيات، فإننى أولاً أوجه الشكر لأصحاب الدعوة الكريمة، لأن الرجل يستاهل ، ولكننى أنبه إلى أن دعوتهم ينطبق عليها المثل القائل «بعد الهنا بسنة» لأن العيد المئوى للفنان راح وانتهى منذ عام كامل!

والدليل على صحة كلامى مذكرات الفنان الخاصة التى قال فى أول سطورها : «أنا ابن شارع المغربلين، من قلب القاهرة القديمة، ومن صميم حى الدرب الأحمر، وهو أحد أعرق الأحياء الشعبية فى عاصمتنا.. ولدت فى ٨ أغسطس ١٨٩٣ لأب كان يشتغل مديرا لحسابات دائرة «الوالدة باش» أم الخديو عباس، وأنا وحيد أمى، ولى أخوان غير أشقاء، محمود ومصطفى، وبدأت الدراسة بالكتاب، ثم مدرسة أم عباس الإبتدائية، ثم الحلمية الثانوية، وأخيراً المعلمين العليا»!

وهكذا نرى أن ابن حى المغربلين - لحسن حظنا - قد سجل تاريخ ميلاده فى مذكراته حتى لانحتفل بذكرى مولده بأثر رجعى!

وعلى كل فبديع خيرى هو موليير مصر الذى أضحك الملايين بأعماله المسرحية التى وصلت إلى ٤٥٠ مسرحية، منها ٦٠ أوبريتا غنائيا. وأدى إتقانه لأكثر من لغة أجنبية إلى فتح نافذة على الغرب بتمصيره لبعض الأعمال الكوميدية العالمية، فمن منا لم يضحك من كل قلبه على مسرحياته العديدة،

وخاصة تلك التى كان بطلها الفنان الكبير نجيب الريحانى، ومن بعده عادل خيرى؟

وقد ارتبط بديع فى بداية حياته بفنان الشعب سيد درويش، ومن بين الأزجال الوطنية الجماعية التى كتبها له وكانت تدعو إلى تآخى عنصرى الأمة فى ثورة ١٩١٩:

إن كنت صحيح بدك تخدم   مصر أم الدنيا وتتقدم
لا تقول نصرانى ولا مسلم   الدين لله يا شيخ اتعلم
اللى أوطـــانهم تجمعـــهم   عمر الأديان ما تفرقهم

وكما ألف بديع خيرى لسيد درويش أروع الكلمات فى ألحان الصنايعية والسقايين والعمال، والحلوة دى قامت تعجن فى الفجرية، فقد ألف مسرحيات لچورچ أبيض وعلى الكسار والريحانى الذى طلق الجميع من أجله وظل يلازمه ٣١ عاماً !

وقد جرب بديع خيرى العمل فى مهنة البحث عن المتاعب، فأصدر ثلاث صحف ساخرة هى: ألف صنف والغول والنهارده، اغتالتها السلطات المتعاقبة وأغلقت أبوابها بالضبة والمفتاح بعد أن ضاقت بنقدها للأوضاع القائمة وتطاولها على الأسياد بالكلمة والنكتة اللاذعة!

ولولا الصد والجفاء والضرب تحت الحزام الذى صادفه فى شارع الصحافة، لما اتجه لكتابة هذا الكم الهائل من المسرحيات الساخرة التى حشد فيها نماذج عديدة من الشخصيات سواء كانت مطحونة وضائعة ومغلوبة على أمرها قاسية ومستبدة ومتدربة على اللعب بالبيضة والحجر!

ولهذا وجب تكريم بديع خيرى فى عيد ميلاده، مع اعتذار يهذب للمئوية الـ نسيناها فى زحمة الانشغال بالبحث عن العلاج للعشوائيات!

«بطاطا»

سيدة المسرح فى عصره الذهبى

كان المشهد بين فاطمة رشدى أو «بطاطا» الدلوعة، وبين يوسف وهبى أو «أبو الحجاج» عملاق المسرح، ففاطمة رشدى أو «توسكا» الحلوة فى الحياة والمسرحية، قتلت عمنا يوسف وهبى أو بالتحديد «اسكاربيا» الحاكم الطاغية لمدينة روما!

وكان لابد أن تُكمل المشهد بالصلاة من أجله وطلب المغفرة له عن كل خطاياه، وقبل أداء الصلاة توجهت إلى مكان الشمعدان لتحضره إلى جواره، وحاولت رفعه من موضعه عدة مرات ولكنها لم تستطع فقد ثبته العامل ببعض المسامير خشية سقوطه، وضج الجمهور بالضحك فى الموقف الدرامى «، وبدأ يوسف يتململ فى رقدته عندما لم تعد له بالشمعدان، واضطرت الممثلة الصغيرة الذكية إلى العودة للحاكم الميت خالية الوفاض وهى تشيّعه بقولها : هل أصلّى من أجلك أيها السفاح؟! أنت لا تستحق إلا اللعنة.. وأسدل الستار على المشهد والجمهور يصفق لها بحرارة، وانتفض يوسف وهبى واقفا وهو يصيح بصوته الحيانى : «أنا ملعون يا ولاد الملعونة»!

كانت فاطمة رشدى - فى ذلك الوقت - ملء الأسماع والأبصار، فهى سيدة المسرح الأولى خلال عصره الذهبى، فقد شقت طريقها بصعوبة بالغة منذ أن كانت طفلة صغيرة، منكوشة الشعر، ذات جمال فطرى صابح، تتعلق بأغانى المطربة فتحية أحمد التى حفظتها عن ظهر قلب عندما كانت تذهب كل ليلة مع أختها الممثلة رتيبة إلى فرقة أمين عطا الله المسرحية لتتابع من الكواليس البطلة وهى تشدو بأعذب الألحان.. وأخذت فى بدايتها الفنية تؤدى بعض الطقاطيق والمونولوجات فيما بين الفصول، حتى رآها الكاتب الكبير محمود تيمور فقدمها للفنان العبقرى عزيز عيد الذى علمها القراءة والكتابة والتمثيل وتزوجها برغم فارق السن، مؤكدا لها أنها ستنافس يوما روز اليوسف على خشبة المسرح!

واستطاعت في سنوات قليلة أن تواجه الفشل والنجاح، وأن تثبت قدميها - فعلا - على القمة، وأن تفرض سلطان فنها على قلوب الناس، وأن تجعل شاعرا مبدعا مثل أحمد شوقي يؤلف خصيصا من أجلها مسرحيتى «مجنون ليلى» و«مصرع كليوبترة» التى وضع ألحانهما موسيقار الشرق محمد عبد الوهاب، وأن يسميها الكاتب الكبير مصطفى أمين «صديقة الطلبة»، لأنها كانت تفتح أبواب مسرحها يومين فى الأسبوع مجانا للتلاميذ.. كما اهتم بها الكاتب اللامع محمد التابعى وكان يتتبع خطاها فى شغف، بينما ألف بيرم التونسى مسرحيتى «عقيلة» و«ليلة من ألف ليلة»، وأطلقوا عليها لقب «سارة برنار» الشرق لكثرة الروايات التى قدمتها لأشهر ممثلة مسرحية فى العالم، وخاصة «النسر الصغير» و«غادة الكاميليا» و«أنا كارنينا».

أمتعتنا فاطمة رشدى خلال مشوارها الفنى الطويل بما يقرب من ٢٥٠ مسرحية مصرية وعالمية، وطافت لأول مرة العالم العربى كسفيرة يتعرفون من خلالها على النهضة المسرحية عندنا، وعندما وصل صيتها إلى الملك فاروق أحضر فرقتها إلى قصره، وطلب منها أن تقدم له مع حاشيته مسرحية «مصرع كليوباترة»!

ولم يستطع أستاذها عزيز عيد أن يستمر فى زواجه منها، فاتفق معها على الطلاق، لترتبط بالمخرج العبقرى كمال سليم الذى أسند إليها بطولة فيلم «العزيمة» مقابل ١٦٠ جنيها، وأثناء تكملة الفيلم طلب منها أن يقوم بدوره «حسين صدقى» فى حياتها، وفهمت المقصود، فاختصرت الوقت وذهبت معه فورا إلى المأذون، لتكتشف بعد الزواج أنه غيور جدا، وعصبى، ولا يطيق زوجها السابق وصديق عمرها الفنى عزيز عيد، بل وحاول أن يسىء إليه عندما أسند إليه دور «عربجى حنطور» لا يستغرق على الشاشة أكثر من دقيقتين، وعندما

عاتبته، تحول العتاب إلى شجار انتهى بالطلاق!

تدهورت بها الأحوال منذ أن مثلت آخر أدوارها بين عامى ١٩٥٩ و ١٩٦٠ فى المسرح الحر، فقد قامت بدور زبيدة العالمة فى مسرحية «بين القصرين» للكاتب الكبير نجيب محفوظ، وكأنها كانت تودع بها المسرح، فقد توارت فى الظل، وأصبحت نسيا منسيا، إلى أن فوجئنا بمأساتها فى أيامها الأخيرة، فالفنانون يجمعون لها النقود من أجل إيجاد شقة لها فى وسط البلد، تنقذها من الحياة فى الفنادق، بعد أن هجرت شقتها الصغيرة أو منفاها الكائن فى الحى العاشر بمدينة نصر، فهى لا تستطيع الصعود إليها، لأنها بالدور الخامس، والعمارة بدون أسانسير!

وعندما استقرت «بطاطا» فى شقتها التى اشتراها الفنانون من حر مالهم وفرشوها لها بالأثاث اللائق، لم تستطع - وهى فى التسعين - أن تحتمل تلك اللفتة الإنسانية التى أحاطت عنقها بأعظم تقدير، فغادرت الحياة وهى تقول شكرا لكل الذين أحاطوها بالرعاية والوفاء والخلق النبيل!

الأسد صلاح چاهين

إنسان شامل بمعنى الكلمة، فهو رسام كاريكاتير وزجال وقصاص وكاتب سيناريو وواضع أوبريتات وممثل ومؤلف أغاني، بل - أيضا - مغني يطربك بأدائه الجميل وصوته الأجش !

وهو فنان عبقري، غرس أقدامه في أصالة الشرق وملأ « دماغه» بثقافة الغرب، فكانت رسوماته « زي العسل» على قلب الشعب المصري، لأنه لم يكن مجرد ابن نكتة أو أخصائي قفشات مضحكة أو فنان يجعلك تستلقي على قفاك من الضحك وترفس برجليك، ولكنه كان مثل الطبيب الجراح الذي يبحث بمشرطه عن أورام المجتمع التي تحتاج إلى استئصال!

وبخلاف الرسومات المدوية السريعة الطلقات، كانت أشعار الفنان صلاح جاهين مليئة بالحيوية والرقة والجرأة والتخيل والفرحة والبكاء على حالنا الذي لا يسر عدوا ولا حبيبا، وما أحلى شقاوته في الرباعيات عندما يقول:

النهد زي الفهد نط اندلع

قلبي انهبش بين الضلوع وانخلع

ياللي نهيت البنت عن فعلها

قول للطبيعة كمان تبطل دلع

عجبي !!

وصفه مرة الكاتب الكبير إحسان عبد القدوس بالأسد الذي تنتابه حالات نفسية عجيبة.. فيوأوأ.. واء .. واء .. واء .. ويجلس على الأرض ليرفس بقدميه ويشوح بيديه ويبكي .. أنا مالي هيبه.. فيقول له عاتبا: « عيب يا أسد ما يصحش» ، فيرد عليه محتجا: « موش عاجبكم طيب»، ويمضي وهو يزأر، ويستمر في الزئير، بينما الجميع يهمسون في أعماقهم مشفقين : « ربنا يستر» !

لم يكن سلبيا أو مرتعشا في رسوماته ذات الخطوط الشديدة التلخيص،

ولكنه كان مقاتلا عنيدا ضد الفساد والجشع والروتين والتكاسل والبلطجة والكوسة والنفاق والتزويغ إلى قهوة النشاط، كما كان يلهب بسياطه ظهور أعداء المرأة والتطور ويطالبنا دائما بتشييع المتخلفين والغشاشين وجهابذة التقليدية فى الفن إلى مقابر الغفير !

إلا أن أحلامه برؤية وطن نظيف من الفقر والقهر والحرمان تهاوت مع نكسة ١٩٦٧، وأصبح قلبه يمتلئ بالحزن والمرارة، فأصابه الأكتئاب الذى كاد يقوده إلى الضياع لولا أن انتقم من أحساسيه المنهارة بأزجال من نوع :

أنا شاب لكن عمرى ولا ألف عام
وحيد ولكن بين ضلوعى زحام
خايف ولكن خوفى منى أنا
أخرس ولكن قلبى مليان كلام
قالوا الشقيق بيمص دم الشقيق
والناس ما هياش ناس بحق وحقيق
قلبى رميته وجبت غيره حجر
داب الحجر .. ورجعت قلبى رقيق
عـــجـــبـــى !!

قالها وقال غيرها لنا، ورحل فى ٢١ إبريل ١٩٨٦ وتركنا – مثله – غرقى فى بحر الحياة، والموج يدخل فى حلوقنا ونحن نصرخ، ومفيش حمار واحد يقاوم الهم والملل – كما قال – بالإنتحار!

فلفــل النــص

جائتنى رسالة مهمة موقعة باسم العبد الفقير إلى الله « فلفل النص» من سكان حارة « ضلع السمكة» بخارطة أبو السعود، وهى فى مجملها أشبه بصرخة احتجاج موجهة للناس «اللى فوق»، يعنى العالم الدفيانة المريّشة!

الرسالة يبدؤها بـ ١٠٠ مسا على الناس الحلوة والست نفيسة وبقية شلة المشاغبين الجدعان، ثم يدخل مباشرة إلى صلب القضية:

أرجو أن تحددوا موقفكم من زيارات « البيزنيس» التى تمخض آخرها عن حضور المحروس « ريدج» ومعه لهطة القشطة « كارولين»، ومن قبلهما جاءت زيارة « الواد كلارك الشغال» على النسوان العواجيز الكسر، وطليقته الغزال الشارد « كريستينا» التى شرفت مهرجان السينما برغم أنها لم تعمل طوال حياتها لا فى سينما صامتة ولا ناطقة، وأن كل مؤهلاتها مسلسل « الجرئ والجميلات» وكام بُق فى إعلانات الصلصة والمكرونة واللحم الأبيض !

وقد فوجئنا بموجة من الاستقبالات الحارة والموائد العامرة والأحاديث على كل لون، من إذاعة وصحافة وتليفزيون وقنوات فضائية وأطباق كباب وكفتة ودش ساخن وبارد حسب الطلب !

وهى احتفالات فاقت الوصف، لم تشاهدها « أوجينى» فى زمانها أثناء افتتاح قناة السويس، ولا صادفها الممثل الهندى « أميتاب باتشان» عندما هاجمته البنات بالصراخ والبكاء والتهليل والتأوهات أثناء حضوره لافتتاح سينما «نورماندى تو» التى اقتبسوا اسمها من أبو الجدعنة عبد الفتاح القصري إمبراطور صفايح الزبدة السايحة !

وكل هذا الحشد الزاحف من الجرئ والجميلات والهنادوة كان من الممكن أن يمر مرور الكرام، لو أننا نسينا فى الزحام نار الغلاء التى لم تتوقف عند السيارات والمكيفات وفواتير التليفونات والكهرباء، ولكنها امتدت إلى السكر وربطة الفجل وقرص الطعمية والأرز الذى أصبحت حكايته حكاية، فمرة يمنعون نقله بين المحافظات، ومرة أخرى يضعونه فى أكياس لمضاعفة السعر، وفى النهاية حولوه من أكلة شعبية إلى سلعة استفزازية يقدمها فنادق الخمس نجوم ومطاعم الأحياء المعتبرة!

ومادام الحال كذلك، ألم يكن الأجدر بنا أن نعزم الست الغلبانة المكسورة الجناح «أوشين» التى ضحت بعمرها كله من أجل طبق الأرز لزوجها العواطلى..؟! ألم يكن من الواجب أن ندعوها باعتبارها رمزا لآكلي الأرز المسلوق الذى لا علاقة له بطواجن الأرز المعمر؟!

لكل هذا وذاك، أطالبكم بأن تضموا صوتكم إلى صوتى خاصة وأنني على استعداد لاستضافة الست « أوشين» وأسرتها علي نفقتي الخاصة ولو لثلاثة أيام، وفى حالة طلبهم زيادة المدة فلا مانع من تلبية رغبتهم ببيع « هدومهم» بما فيها « الكيمونو» فى « سوق الكانتو بأعلى الأسعار!

وستكون عربتى الكارو فى شرف استقبالهم فى محطة كوبرى الليمون لتوصيلهم إلى مقر ضيافتنا فى ١٣ حارة ضلع السمكة - خارطة أبو السعود - مصر العتيقة، حيث أفسحنا لهم الإقامة فى حجرة بمنافعها فى أحد لمنازل العشوائية، لاستقبال وفود المتبرعين بالأرز لصالح المتضررين من الغلاء وضحايا التجار!

وختاما أرجو أن يجد عندكم احتجاجى المكتوب بقلم العرضحالجى فرج الله أفندى، آذانا صاغية وقلوبنا مفتوحة وبطونا خاوية!

العبد الفقير إلى الله « فلفل النص»

هذه هى الرسالة التى وصلتنى من الأخ فلفل الذى هزنى بالعبارة التى كتبها على المظروف « شكرا لساعى البريد»، ولكى أطمئنه فقد تأثر البوسطجى بالعبارة وسلمنى الرسالة مشكورا بعد أن تأكد أنها خاوية، ونظرا لأهميتها فقد نشرتها كما هى دون شطب أو تغيير، وسأقوم فورا بإرسال صورة منها لصندوق الأغاثة بالأمم المتحدة وصورة أخرى إلى السيد وزير التموين!

«ثومة»

سيدة الطرب وخفة الظل

أشتهرت سيدة الغناء العربى أم كلثوم بظرفها وخفة دمها، فقد كانت حلوة الحديث، حاضرة النكتة، لا تترك أى موقف يتطلب الفكاهة أو الدعابة بدون أن تجمله بابتسامة صافية تمسح هموم القلب وآهات الزمن!

ذهبت مرة لحفل ساهر على شرف أحد رجال القانون، وبعد أن تشبع الحاضرون بغنائها الجميل وبدأ الرقص فى الصالة، تقدم منها أحد القضاة الشبان قائلا: ممكن ترقصيمعايا؟ فردت عليه ببساطة : لأ... أنا حرأس الجلسة!

وفى حفل آخر وقفت لتصافح كبار المدعوين، وجاءها رجل قصير جدا فصافحته بابتسامة وهى تقول: إنت الواحد يقعد لك!

وأرادت مرة أن تشترى كتابا لأحد أصدقائها من الصحفيين فسألته مداعبة فى التليفون: هو ثمن النسخة كام؟... فقال لها :

ثلاثة جنيهاتت وعشانك اتنين ياست.. وردت عليه فورا قائلة: ليه هما هيوزعوا المؤلف فوق البيعة!

ولاحظت مرة أن هناك معجبا بصوتها لا تفوته أى حفلة من حفلاتها، فأصرت على التعرف عليه، وقدم لها نفسه بأنه سميع دائم لصوتها الساحر برغم أنه مهندس كهرباء لا يتعامل إلا مع الأسلاك والكابلات والضغط العالى، ولم تترك فرصة القفشة تفوت فقالت له : يابن الكابل..!

وأشهر مايحكيه سيد مكاوى عن خفة دمها أنها أثناء تلحين أغنية« يا مسهرنى» طلبت منه تعديل جملة موسيقية، فقال لها : حاضر لما أشوف، فردت بهدوء : يبقى عمرك ما هتعدلها! وضحك سيد مكاوى من القفشة كما لم يضحك من قبل.

ومن أظرف مداعبتها عندما كانت تغنى بإحدى مدن الصعيد، فانتقض أ. الحاضرين وظل يصيح: « يا جاموس المغنى» فغضبت وثارت.. لكن أحد العازفير قال لها إن الرجل يقصد أن يقول « يا قاموس المغنى» فعلقت على ذلك بقولها : بس فين « العجول » اللى تفهم!

وقد روى لى أبو الكاريكاتير الفنان رخا قصة الأم التى استغاثت ببيرم عقب ظهور فيلم « سلامة» الذى لعبت بطولته أمام يحيى شاهين وكتب له بيرم الحوار

البدوى والأغانى، فقد اتصلت به فى نقابة الصحفيين وسألته: هوه أنت الملحناتى اللى بتعمل أغاني أم كلثوم؟ فقال لها : لأ ياستى.. أنا المؤلفاتى بتاع الست وأفهمته أن ابنتها مريضة باضطراب عصبى وأنها مصرة على أن يغنى لها بصوته أغنية « حبة حبة» فقال لها: قصدك شوية شوية.. تفتكرى لو غنيت لها هتروق؟! فقالت: دى دايما بتسألنى عنك.. وبتموت فى أغنيتك فأرجوك تساعدنى!

وتحت إلحاح الأم، وبدافع من الشفقة ظل بيرم يغنى لها يوميا فى التليفون وفى موعد معين أغنية« شوية شوية» لمدة أسبوعين، إلى أن اكتشف أن صاحبة هذا المقلب هى أم كلثوم ، فأراد أن يرد ظرفها ويعاتبها بقصيدة عندما عادت من أوروبا بعد رحلة علاج، فاستقبلها فى احتفال العودة بكلمات خفيفة الظل قال فيها:

يا مرفهة عن جميع الناس وتاعبــــانــي
وف حارة السد والســــيدة فاضحانـي
يقولوا آدى مؤلــف دور «يا هجرانــــي»
الناس تجينى على صيتك ونعم الصــيت
قالوا عليك بطــــاقة ولا كـــارت فـيزيت
يفتح رموز الكنوز ويســــخر العـفـاريت
ويوظف الخيبان ويبرأ الجـــــــــانى

رحم الله سيدة الغناء العربى أم كلثوم التى مازالت تمتعنا بأغانيها العظيمة منذ رحيلها وحتى اليوم.

عبده لبلاب

اسم على مسمى ، فهو متسلق مثل نبات «اللوف» واللبلاب ، وناعم مثل الحية، وعلى رأى الشاعر الشعبى أحمد فؤاد نجم : بتاع كل حاجة وخدام السيادة ودراعك اليمين !

سريع الانتشار فى كل مكان كوباء السرطان ، تجده على استعداد دائما لتلبية الطلبات بسرعة الريح من الإسكندرية لأسوان بداية من حمل الشنطة وشراء اللحوم والخضراوات إلى ترضيع الأطفال وتذكير المدير بمناسبات أعياد ميلاد أهل بيته !

لبيب بالإشارة يفهم ، وبدون إشارة يعرفها وهى «طايرة» ، فيكفى نظرة طرف عين من رئيسه ليدرك بالشطارة والفهلوة إن كانت القهوة سادة أو سكر زيادة ، والشاى على ماء أبيض أو كشرى ، وإن كانت الرغبة السنية تريد بالمستعجل إضاءة اللمبة الحمراء لأن سيده وتاج راسه لا يستطيع الجلوس على بعضه منذ تشريف «الأمورة» الحلوة السنيورة صاحبة «المؤهلات » التى جعلته يتذكر مع حضورها ضرورة توقيع البوستة والخطابات !

أستاذ كرسى فى إعطاء «الزنب » والتصنت على زملائه فى أى همسة لنقلها بصورة مبالغ فيها لتخويف المدير من جهة وسهولة السيطرة عليه ، وللحصول - من جهة أخرى - على أقوى رد فعل ضد خصومه !

سألوه مرة : لماذا تستهين بنفسك إلى هذه الدرجة ؟!

فقال ببجاحة : لحم كتافى من خيره .. واللى يتجوز أمى أقول له ياعمى !

ومرة أخرى استضافوه فى برنامج تليفزيونى وسألوه عن الحكمة التى يؤمن بها فقال لهم : العين ماتعلاش على الحاجب !

وعندما طلبوا منه أن يذكر أغنيته المفضلة قال فى هيام : أنا لك على طول خليك ليه !

والغريب أنه بمجرد أن أبعدوا رئيسه السابق عن العمل حتى كان أول من انقض عليه فى نذالة ، ولعن"خاش أبو أيامه الهباب » وجرده من البنطلون والفانلة بدون خجل ، ولو طال أن ينزع جلده لفعل ، فالمدير القديم فى نظره الآن «كارت محروق »، ولذا لامانع من تمهيد أرض مسح الجوخ أمام المدير الجديد

بوصف الذى سبقه إلى الكرسى بالغباء والبخل واليد الطويلة واللسان «الزفر» ، وأن أمه كانت بائعة فجل وأبوه كان يشحت أمام السيدة ، يعنى باختصار لابد أن يطلع فيه صفات «القطط الفطسانة»!

هل مثل هذا النموذج هو أس الفساد فى أى موقع عمل ؟

للوهلة الأولى أى واحد يعترف بانحطاط أخلاقيات هذا النوع من البشر ، ولكنى بصراحة أقول : العيب ليس فى عبده لبلاب .. وإنما فى البستانى الذى يسقيه كل يوم ليكبر ويتوغل ويتسلق ويتكاثر مثل أى حشرة لاتجد من يقاومها بأى مبيد!

الساخر الأول

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

كان الكاتب الساخر محمد عفيفى جارى فى شارع الهرم، يسكن على بعد خطوتين، وبرغم معرفتى بأدبه الشديد وكرمه وثقافته الواسعة وأنه كان رفيقى الوحيد فى رحلة الإنتقال من أخبار اليوم إلى دار الهلال عندما أختارنا الكاتب الكبير أحمد بهاء الدين للعمل فى الدار العريقة، لم أزره فى منزله ولو مرة واحدة، ربما كان ذلك تقصيرا أو كسوفا أو أى شىء آخر تسميه كيفما تشاء، فقد كنت وقتها فى عنفوان شبابى، وأتحاشى الزيارات المنزلية للزملاء !

وعندما ركبت مع الكاتب الساخر سيارته «النبيتى» من عملى إلى شارع الهرم، عرفت لأول مرة أنه ينتمى إلى جماعة «الحرافيش» التى كونها الكاتب الكبير نجيب محفوظ، وكان أعضاؤها يلتقون فى كازينو الأوبرا، وعندما إنضم إليهم محمد عفيفى أختاروا يوم الخميس للإجتماع فى منزله حيث تبقى الندوات مفتوحة حتى طلوع الفجر!

وكان من بين أعضاء الحرافيش أخونا رسام الكاريكاتير بهجت عثمان والممثل المعروف أحمد مظهر والقصاص عادل كامل والمخرج توفيق صالح .

وفى السيارة عرفت أن الكاتب الساخر محمد عفيفى بعد حصوله على ليسانس الحقوق لفظ المحاماة وأعطى ظهره للنيابة العامة، وألتحق بمعهد الصحافة ليصبح كاتبا موهوباً، وعندما حصل على دبلوم الصحافة سألهم : «هيه فين الصحافة ؟!.»

واستغربوا من سؤاله وقالوا له : إحمد ربنا لأنك درست كل هذه المواد، وحمد الله وتوكل عليه وأصدر مجلة «القصة» على حسابه الخاص، ولكنه أغلقها بعد عام واحد من إصدارها، وضاعت كل مدخراته وأصبح على الحديدة !

الكاتب الساخر محمد عفيفى كالعملة النادرة التى لن تتكرر، فقد جعلنا نستمتع بكتاباته الراقية، وسخريته من الحياة ببساطة لا تعرف الحزن أو النقمة، أو تجعلك تفكر فى حالك إذا تعقدت الأمور !

لقد أضحكنا من أعماقنا، وجعلنا نترحم على أيامه، وعلى كل كلماته الساخرة التى يجرح فيها دون أن يسيل دما، وأفكاره الضاحكة التى كان يرسلها ليخفى تحتها آلامه ودموعه أمام قرائه، فقد كان لا يجاهرهم بمرضه المتدهور «السرطان»، فالمهم عنده هو انتقاد المشكلات التى تواجه الإنسان فى عصر الغلاء والمادة، أما الكيماويات التى فشلت فى وقف زحف المرض اللعين فهى عاجزة أمام قضاء الله !

كان يقسم الناس بجملة قصيرة واحدة يقول فيها : الناس نوعان.. ناس سعداء وناس يركبوا الأتوبيس !

وكان يترحم على أيام زمان عندما يقول : ليتك تعود يا أبى لكى ترى الجنيه

المصرى الذى كنت تدفعه أنت إيجارا فى أربع حجرات، فقد دفعته أنا بالأمس ثمنا لصحن سلاطة !

وفي المقال نفسه شكر أبا ه لأنه وهبه نعمة الحياة ورباه وعلمه وجعله مثقفا ومحترما يقف بين الناس، إلى درجة أن يأتمنوه بين الحين والآخر على عشرة جنيهات سلف !

وقبل رحيل الكاتب الساخر جاء إلى القاهرة مستشرق ألمانى وصلته سمعته وشهرته فى بلده، وذهب إليه فى منزله، وقال له إنه مكلف من الجامعة التى ينتمى إليها باعداد دراسة عن أعماله الساخرة التى رفعته إلى مرتبة الكاتب الساخر الأول باللغة العربية، وناقشه فى مؤلفاته من أول مجموعته القصصية الأولى- أنوار - إلى «التفاحة والجمجمة» وأعماله الأخرى، وصدرت هذه الدراسة بالألمانية عن أعماله وقصصه وأبوابه الثابتة والمشهورة مثل «ابتسم من فضلك» التى جال وصال فيها، وأمتعنا بتعليقاته اللاذعة، فكان إذا ذهب إلى أى مكتب من مكاتب الحكومة ،فكان يعلم مسبقا أنه لابد أن يستعد لأن يفوت عليهم بكره !

وإذا نظرنا إلى الإنسان زمان وجدناه مختلفا عن الإنسان الآن، وإلا فلماذا وصفه «أرسطو» بأنه حيوان عاقل ؟! وأن هذا الإنسان نجح فى أن يحسن سلالات معظم الحيوانات إلا سلالته !

وعندما يتحدث عن الحمار يكتشف أنه سيء الحظ، فهو على عكس البقرة والثور والكبش والثعبان والتمساح، لم يجد المسكين أى جماعة من الناس تقدسه!

وعندما ينشر إعلانا فى الصحف يصف فيه نفسه بأنه عريس متزمت بعض الشيء، يطلب عروسا تقسم على المصحف بأنها لم تركب الأتوبيس من قبل !

ويفرق بين المرأة العجوز وأنبوبة البوتاجاز الفارغة، فالأخيرة يمكن أن تملأها مرة أخرى !

وعن النظافة يرى أنه ليس من الضرورى أن تكون فلاحا لكى تنام مع الجاموسة فى حجرة واحدة !

ويصف أحوال مدارسنا «المايلة» وتلاميذنا المساكين فيقول : كتب تلميذ فى كراسة التاريخ يقول : بدأ محمد على باشا حياته تاجر دخان، ثم أثبت أنه جندى معدن ممتاز!

وأنه من حسن حظ الإنسان أنه ينسى، فلو أنه تذكر كل ما حشو دماغه به فى المدارس لكان جاهلا مثالياً !

وهكذا كان الكاتب الساخر محمد عفيفى فيلسوفاً ضاحكا وباكيا فى كتاباته، وفوق هذا كان يدرك أن الفكاهة لها جذور فلسفية ! .

بيكار والحادثة

كان يجلس مسترخيا فى إرهاق بجوار صديقه الذى يقود السيارة عائدا بالليل من «ويك إند» فى الإسماعيلية، وفجأة أنقض عليهما «جرار» أعمى مندفعا فى وحشية ليحطم السيارة ويجعلها تنقلب عدة مرات، ولم يفق من تأثير الحادث إلا على فراشه فى المستشفى، ليتأمل رأسه المحاطة بالضمادات، وذراعه الشمال المسنودة بجبيرة بلاستيك والمتعلقة بكتفه، بينما عظام وجنته اليسرى فى إنتظار عملية جراحية لإعادتها إلى مكانها بعد أن تحرك تجويف العين اليسرى بفعل الصدمة الشديدة!

وبرغم تلك كل الأهوال التى أصابت الفنان الكبير حسين بيكار، فقد وجد نفسه يمسك القلم بيده اليمنى السليمة ليكتب فى إستسلام ورضا بقضاء الله وقدره:

مافيش يومين كنت نونو فى اللفـــة
وفجأة لقيت عمرى عمال بيتصفـــى
قلت مالك يا زمن مستعجل كده ليه؟
قال أهو أنت كده عمرك ماتستكفى!

يا سلام يا عمى بيكار.. ربنا قدَّر ولطف.. عشان حبايب فنك السهل الممتنع.. وشاعرية ألوانك وظلالك.. وريادتك لفن البروتريه.. وروائعك فى الفن الصحفى وصحافة الأطفال.. ولوحاتك الزيتية الفريدة المتناثرة كالورود الساحرة العطرة.. وبقية عطائك الأصيل النقى المستمر لأكثر من نصف قرن والمتميز بالتنوع والثراء، فأنت.. الرسام.. والزجال.. والموسيقى.. والناقد.. ومن قبل أستاذ الأجيال من النوابغ الذين أثروا حياتنا الفنية بالحب والخير والجمال وساروا على دربك يحاربون القبح والشر والظلم والإحباط والغرور وإدعاءات عديمى المواهب وأونطجية الزفة الكدابة الذين يتعاملون مع الفن والنقد من خلال البعد

الميتافيزيقى للمستوى الباحث عن بؤرة اللاشعور، وغير ذلك من كلمات الفهلوة «والصياعة» والنظرية الخالدة «إدينى فى «الهايف» عشان أحبك يا أبو التفانين»!

الغريب يا عمى بيكار.. يا أصيل.. أن خبطة العربية جاءت فى رأسنا كلنا.. وأيقظتنا من دوامة الحياة التى أغرقتنا فى الهموم اليومية، فنسينا كيف نحافظ على فنك البديع الرقيق ولمساتك الناعمة المليئة بالمشاعر الإنسانية، وجعلتنا نتساءل فى حيرة: متى تتجمع روائعك فى متحف يحمل اسمك ليراها كل متذوقى فنك الرفيع؟!.. ومتى نتحرك لنحافظ على مقتنياتك ونطبع لوحاتك فى كتاب ملون على ورق مصقول كما يتعامل العالم المتحضر مع المشاهير من فنانيه؟! أليس ذلك أبقى وأجدى من البذخ الذى نراه فى مهرجانات الأفلام «الخايبة»، وموالد المسرحيات العبثية، وكتب الحبايب والمطيباتية التى تعود بمرتجع يفوق العدد المطبوع؟!

أبو الروس
زعيم البروتين

زعيم بحق وحقيق، من عشاق البواكى، يلعب فى أربعة أرانب على الأقل وكام «ورك» على سبيل الفكة، يأكلها والعة - وأيضاً - باردة، لا فرق عنده بين الإنتركوت والموزة والفلتو وبين المصارين والدهون وبطن العجل.. حاصل على دبلوم سكة حديد فرع «التحويلات» ولهذا أشتهر فى السوق باسم «القشاش» أبو الروس زعيم البروتين!

لاعلاقة له بخالد الذكر وأبو المنافذ توفيق عبد الحى الذى باع لنا صدور الطيور الجارحة على أنها ديوك رومى من أصل يونانى «معتبر»، والدليل على ذلك أنه قرر حل فزورة الأسعار وإعطاء درس بليغ للجمعيات الإستهلاكية التى رفعت سعر كيلو اللحمة البلدى إلى ١٤ جنيهاً، وأن يعمل جاهداً للقضاء على أطباق الفول والطعمية والبادنجان المقلى وصحن الكشرى حتى تختفى من على مائدة صغار المستهلكين، لتحل محلها ورقة البروتين الماسية التى تغرد لها عصافير البطن ويعلو لها الهتاف مدوياً على جميع القنوات المحلية والفضائية والمرارية والوبائية وقناة المصران الغليظ!

ورقة أبو الروس السحرية ياسادة ياكرام فيها عجب العجاب، بداية من اللحمة المفرومة أم ستة جنيهات وكيلو اللانشون أبو أربعة وكيلو السجق أبو تلاته إلى زلومة الفيل وذيل الأسد وكناسة الجزارين.. وخلّى الفقير يأكل.. وبلاش حقد ياغجر!

أبو الروس العايق الأبهة، لايعترف إلا بالمفرمة، وكل شىء عنده لابد أن يدخلها بدون مناقشة من أجعص عجل «فطيس» إلى ذمته الأستك التى تبلع المحيط، فالمفرمة هى الحل مع حبايبها الحلوين كالكبدة مجهولة الهوية والكفتة أم جنيه التى رفضت قطتى أن تأكلها، ربما بدافع الوفاء العائلى!.

وقد أستطاع أبو الروس بفضل مثابرته وجرى الوحوش أن يحمل لقب المورِّد

الأول لعربات الكفتة والكبدة وبائعى السندوتشات السرِّيحة الذين يتعاملون مع أولادنا أمام المدارس، كما أستطاع أن يقيم جسراً بينه وبين الإعلام المكتوب والمرئى والمسموع عن طريق شلالات من الإعلانات وعلاقات خاصة مع بعض الأقلام التى تسابقت فى الدفاع عنه ببسالة منقطعة النظير، وعاتبت وزير الصحة لمجرد أنه حاول توعية المواطنين فى عاداتهم الغذائية، إنطلاقاً من مبدأ الوقاية خير من العلاج، وأكدت بذلك أن الرجل «مشبط، مربط»، متين، وأن المدافعين عنه إما تحولوا إلى مدمنين لهذا البروتين المضروب. أو من ضمن كشوف «البقرة» وهى غير كشوف «البركة» التى كانت بالكومة وعلى قفا من يشيل!

ولأننى أؤمن بأن هذه اللحوم الفاسدة أخطر على الصحة من المخدرات لأنها تهددنا بالسرطان نتيجة المواد الملونة والحافظة، وتؤدى على المدى الطويل إلى الفشل الكلوى وأمراض الأوعية الدموية والتليف الكبدى وإنتشار العض بين بعض السيدات فى الأتوبيسات، فإننى أتمنى أن يخطىء أخونا أبو الروس ولو مرة واحدة، ويجرب منتجاته مع أهله والأخوة المدافعين عن الأغذية المضروبة، ولعلنا بعدها نرتاح من مخلفات زعيم البروتين، ومخلفات «أونطجية» الكتابة!

شكوى الفقير الهندى

وصلتنى شكوى من الفقير الهندى فى مدينة «سورات» المزدحمة بالبقر والبشر والبخور المعتبر الذى لم يفلح فى إبعاد اللعنة التى أصابت ساكنى الأكواخ، وجعلت وجوهم تحتقن، وألسنتهم تجف، ودرجة حرارتهم ترتفع إلى حد الهلوسة وتخريب خلايا المخ!

الرسالة تقول بالحرف الواحد :

أستيقظنا فجأة لنكتشف أن مدينتنا منكوبة ومصابة بالطاعون الرئوى، وما أدراك ما معنى هذا الوباء الرهيب الذى يكفى فيه عطسة واحدة من المريض ليصيب كل من حوله بالعدوى، ومع هذه المصيبة أصبحت أذهاننا فى عطلة، وأصبحنا جميعا لاتفكير لنا إلا الخروج من الحصار والعزلة والنجاة من بلاد تركب الأفيال إلى بلاد تركب الشبح والبودرة والعفاريت البيض والحمر والزرق!

وكنا نود أن تسارع الدول الغربية الغنية فور اكتشاف الوباء إلى نجدتنا وإنقاذنا والتعاون معنا فى حصار هذا الرعب القاتل تمهيدا للقضاء عليه بإرسال الأطباء والأمصال الكافية والمعونات التى تساعدنا على إجتياز الأزمة، لكنهم تحولوا إلى خائفين ومتفرجين وكأنهم يشاهدون فيلما ميلودراميا لأميتاب باتشان، وظلوا أسبوعا لايقدمون أدنى مساعدة، بل أغلقوا علينا المطارات والموانىء، ومنعوا السياحة، وأوصدوا كل الأبواب أمام صادراتنا، ولو أستطاعوا أن يحجبوا عنا الشمس والهواء لفعلوا!

والغريب أن دول العالم الثالث - التى لها نفس ظروفنا الإجتماعية والاقتصادية - أسرعت هى الأخرى تفرض علينا عقوبة العزل والمقاطعة، وكأنه مكتوبٌ علينا أن نتحمل البلاوى على طول الخط، وأن نصبح مجرد ببغاوات نردد ما يقولونه فى حملاتهم المغرضة والمنظمة، ونطبق محاذيرهم بلا مناقشة!

لقد سقط عندنا ما يزيد على الستين شخصا فى ثمانى ولايات، وأصيب

بالعدوى أربعة الاف، عولج معظمهم فى المستشفيات، وهى نسبة ضئيلة جداً بالقياس إلى تعدادنا الذى وصل إلى ٨٠٠ مليون نسمة، فى حين أن مرضى طاعون العصر «الأيدز» فى أوروبا وأمريكا بالملايين، وبرغم ذلك فإن معظمهم له حرية الإنتقال والسفر لأى بلد فى العالم «بدون إحم ولادستور»!

هل السبب لأننا «هنادوة»؟! أم لأن الأغنياء لا يأتيهم الشر من قريب أو بعيد، مع أن الروائى «البير كامى» فى روايته «الطاعون» قال لهم : «الشر كالساقية يدور ليصيب أى مكان فى العالم، لأنه مصيبة عامة، وعنصر من عناصر الحياة، وكامن فى بذرة الوجود»!

إمضـــاء
الفقير الهندى

ولأننى ضعيف أمام كل فقراء العالم، فقد جعلتنى تلك الرسالة أتضامن تماما مع الفقير الهندى، حفيد غاندى المسالم، وطاغور الشاعر العظيم، وسليل جيراننا الشرقيين الذين هزوا العالم بالحكمة والأساطير والفن الجميل.. وجعلتنى شكواه أناشد الإنسانية كلها أن تقف مع الهند حتى تجتاز أزمتها ومحنتها، وتخرج من دائرة الحملات والشائعات !

العبد لله محمود السعدنى

العبد لله محمود السعدنى أكبر ساخر شعبى، فأنت تضحك بمجرد أن تسلم عليه، أما عندما تجلس معه فتشعر – فعلا – بأن عصر كامل الشناوى ومحمد حمام وزكريا الحجاوى وعبد الرحمن الخميسى مازال موجوداً!

من نوادره أنه ذهب ليعمل فى إحدى المجلات لدولة عربية فى السبعينات، وسأل صاحب المجلة : كم ستعطينى من أجر؟!، فقال له وهو «يضع رجلاً فوق رجل» بإمارة وإرادة: أربعة آلاف ريال، وأحس السعدنى بمدى الإهانه التى وجهها له صاحب العمل البخيل، وبرغم ذلك فقد كانت المفاجأة فى موافقة السعدنى على هذا الرقم، إلا أنه اشترط على صاحب العمل أن يحضر معه لمعاونته مشرفاً فنيا بـ ٩ آلاف ريال ومدير تحرير بـ ١٠ آلاف ريال!

وهنا انتفض صاحب العمل من طوله، وكان قصيرا ، وقال للسعدنى: كيف تأخذ كرئيس تحرير أربعة آلاف ريال بينما المشرف الفنى الذى يعمل معك سيأخذ تسعة آلاف ومدير التحرير عشرة آلاف ريال؟!

وقال له السعدنى فى هدوء قاتل وهو يستعد لإنهاء اللقاء: «يبقى موش هانتفق» فالواضح أن أول القصيدة كفر، ويبدو أنك تحب التدخل فى عملى كرئيس تحرير!

رسمه فنان الكاريكاتير بهجت عثمان فى لوحة يوضح لنا بسهولة شخصيته كفلاح بسرواله التقليدى والصديرى، بينما على رأسه الزعبوط لزوم الوجاهة، وهو «متشعلق» فى ذيل طائرة أو هابط من السماء بمظلة مكتوب عليها «ياناس يا عسل السعدنى وصل» !

من أشهر الأحاديث الصحفية التى أجراها السعدنى فى حياته الصحفية حديثه الشهير مع الزعيم الهندى جواهر لال نهرو .

كان الزعيم قد اشترط عند وصوله إلى مصر ألاَّ يُجرى مقابلات صحفية مع أى إنسان إلا إذا كان يجيد الهندية!

وأُسقط فى يد الصحفيين، الذين يعرفون أن نهرو كان معتزا بقوميته ولغته، ويصر على هذا الشرط!

كان فى جيب السعدنى قروش معدودة، فاشترى بضعة سجاير «فرط»، وذهب إلى أحد الهنود وطلب منه أن يتعلم بعض كلمات معدودة مثل صباح الخير وصباح النور وأريد أن أقابل الرئيس ، وتوكل على الله وذهب لمقابلة ضيف مصر الكبير!

وعندما نجح فى الدخول إلى نهرو بالكلمتين اللتين حفظهما أراد أن يأكل دماغ الزعيم حتى يسامحه على الخدعة، وأعطاه واحدة من السجاير «الفرط» الرديئة التى فى جيب قميصه، ويقال أن الزعيم «كح» بشدة بعد أن استنشق النفس الأول، وحكى له السعدنى بالإنجليزية ظروفه وما فعله لكى يصل إليه فاستغرق الزعيم فى الضحك، وأجرى معه الحوار وودعه على الباب مبتسما من ذكائه !

السعدنى مشاكس بطبعه، وقد جعلته مشاكسته يدفع الثمن غاليا، فقد دخل السجن وزجوا به مرات عديدة فى معظم المعتقلات، وأوقفوه عن العمل، بل وفصلوه، ولكنه لم

يخضع لهم !

أجمل مايكتب السعدنى عندما يتحدث عن «الصيّاع» والضائعين والبائسين، فمن السهل أن يتحول مجنون قهوة عبد الله أو ماسح الأحذية إلى بطل شعبى عظيم لمجرد أن السعدنى كتب عنه !

السعدنى ينظر إلى تاريخ مصر بوصفه قصة كفاح الضائعين والشحاتين و«الغلابة» وهو يقول ذلك بوضوح فى كتابه «مصر من تانى» حيث يؤكد أن قادة الثورة الشعبية الأولى أثناء الحملة الفرنسية على مصر هم مجموعة من المتسولين العميان، وأن عامة الشعب كانوا أكثر شجاعة وجرأة من الأعيان وعلماء الأزهر، ليس هذا فقط بل إن أهل النخبة وقفوا إلى جوار المستعمر، وطالبوا الناس بالاستكانة والخضوع، لأن القيامة على وشك أن تحدث !

كان أنور السادات صديقا للسعدنى قبل الثورة، فقد تعرف عليه فى نهاية الحرب العالمية الثانية، فى بيت الفنان الشعبى زكريا الحجاوى فى شارع سعد زغلول بالجيزة، ودخل السعدنى معه فى نوبة هزار حول تميزه فى الإلقاء، ولكنه عرف بعد ذلك أنه مطارد من البوليس الحربى وأن زكريا الحجاوى أخفاه فى جزيرة معزولة فى بحيرة المنزلة بعيدا عن أعين البوليس !

وقد ألتحق محمود السعدنى بجريدة الجمهورية عندما كان السادات مسئولاً عنها، وذات يوم فوجىء السعدنى بأن سكرتير السادات فوزى عبد الحافظ يطالبه بأن يتوجه فورا لمقابلة البكباشى، وقابله، وفوجىء بأن البكباشى أنور السادات إنساناً آخر غير الذى تعود معه الهزار قبل الثورة، فقد تركه يتكلم بطريقته الخاصة دون أن يرفع نظره عن الورق الذى أمامه، ثم فوجىء بأن السادات يسأله : أنت يا ولد عربجى ولا صحفى؟ فقال له : لا فرق بين الأثنين ، فلا يوجد أى فرق بين مهنة العربجى ومهنة الصحفى، وأغتاظ السادات من هذا الرد الصفيق وقال له : أنت يا ولد موقوف ! فقال له : ولايهمك، فصحح السادات الجملة وقال له : أنت مرفوت يا ولد ! فكرر السعدنى قوله مرة أخرى: ولا يهمك وانصرف !

وأثناء انصرافه جرى فوزى عبد الحافظ وراء السعدنى على السّلم وهو يطالبه بالعودة إلى مكتب السادات المسئول عن الجريدة، وصعد السلم ودخل على السادات للمرة الثانية، وقال له السادات : يا ولد أنت موقوف مش مرفوت لأن لسانك زفر أساء إلى فريد الأطرش والدروز الذين يعيشون فى سوريا، ونحن نحاول أن نجعلهم فى صفنا أثناء الوحدة !

وكان السادات هو سببا فى سجن محمود السعدنى بعد ذلك، فقد سجل له نكتتين كان يرويهما لرئيس الاتحاد الاشتراكى بالجيزة فريد عبد الكريم ، واحدة تقول أنه كان يحكمنا زعيما يجعلنا نموت من الرعب وجاءنا زعيم يجعلنا نموت من الضحك!

وكانت النكتة الثانية عن .... وناداه السادات وقال له : يا ولد أنت هتدخل السجن أربع سنين ، سنتين على النكتة التى قلتها علىّ ، وسنتين على نكتة .... ،

ودخل السعدنى السجن فعلا بتهمة أنه من أحد كبار رجال التنظيم الطليعى فى الجيزة، ولكن السادات ناداه مرة أخرى وقال له : سأتنازل عن النكتة التى قيلت فى حقى أما نكتة...... فلا أتنازل عنها، وقضى السعدنى فعلا فى السجن عامين قبل أن ينتقل إلى أبو ظبى والكويت ويستقر فى العراق ! .

وقد جعلنا محمود السعدنى نضحك من أعماقنا على الفترة التى قضاها فى سجون مصر ومعظم معتقلاتها ، وسجل كل همسة وكلمة فى كتبه التى تملأ المكتبات، وتصدر منها عدة طبعات تنفد بمجرد صدورها !

ومن كتب السعدنى التى تشدك «قهوة عبد الله» التى تشعر أثناء قراءتها بأن أبطالها يجلسون معك بشحمهم ولحمهم ، وفى كتابه «حمار من الشرق» تعيش مع رحلة ضاحكة «ساخرة» فى باريس، وترى فى هذا الكتاب النظرة المتدنية التى ينظرون بها إلينا، وهناك كتاب آخر يعتبرونه من أهم المراجع السياسية عن الولايات المتحدة الأمريكية، أسمه «أمريكا يا ويكا» وخلال هذا الكتاب يحاول المؤلف أن يحل لنا اللغز الأمريكى بقلمه الساخر وحاسة «أبن البلد» الفكاهية التى يُحول بها أى مأساة فى حياته إلى ضحكات وقفشات !

أما فى كتابه «المضحكون» فهو يتحدث عن بعض الفنانين الذين ملأوا حياتنا الفنية بالبهجة طوال السنين الماضية، إنه يتحدث عن زمن سابق للجيل الجديد بدون أى مواربة أو خديعة، ويقول بكل صدق أن هذه الأحكام قديمة، بعضها طلع «فشنك» والبعض الآخر صابت فيه التوقعات وأثبتت الأيام صحة ما قاله، وفى هذا الكتاب يتحدث عن مجموعة من المضحكين ورأيه فيهم فنجده يتكلم عن ، عبد المنعم مدبولى، وفؤاد المهندس، وأمين الهنيدى، ومحمد عوض، والثلاثى المرح وعلى رأسهم سمير غانم، وأسماعيل ياسين، وسعيد أبو بكر، وبدر الدين جمجوم، وعبد السلام محمد، وحسن فائق، وحسن مصطفى، وعبد الرحمن أبو زهرة، وأبو لمعة، والخواجة بيجو، ومحمود شكوكو، ومحمد شوقي، ويقول لنا رأيه فى الشبان عادل إمام، وصلاح السعدنى ، وسعيد صالح، ونبيل هجرسى، وفاروق نجيب، وجمال اسماعيل ، وفاروق فلوكس .

وعندما ينتهى من الممثلين المضحكين يستدير إلى الكُتاب المسرحيين أمثال ، نعمان عاشور ، وسعد الدين وهبه، والفريد فرج، وعلي سالم، وعبد الرحمن شوقى، وسمير خفاجي وبهجت قمر.

وفى كتابه «القضية» نرى رواية فى غاية الظرف، من أول بطلها «عبد الوارث ابن بهانة» إلى الراقصة التى لا تفرق بين النط والرقص «نعيمة بنت حنكوش»!

إنه الكاتب الساخر محمود السعدنى الذى لا يوجد من هو «أصيع» منه فى الكتابة، ولا يوجد من يجاريه فى أسلوبه الجميل البسيط «الخنفشارى» !

بلدياتنا المنسى

بلدياتنا رجل شهم و«مجدع»، فى أعماقه نقاء وفروسية أبو زيد الهلالى - وأيضاً - صبر أيوب، ولا تصدقوا أنه «جرانيتى» المشاعر، فهو مثل كل البشر يمتلىء قلبه بالخوف والحب الذى قد يصيب جسده بالنحول مثل قيس وجميل وكُثير وبقية المحبين!

وهو كريم ولا حاتم الطائى، وشديد الغيرة على عشيرته وأهله وعرضه كما عنترة، وعاشق للقمة العيش الحلال مهما كلفته من عرق وشقاء، ولولا ذلك لما ظلت بصماته باقية من عصرالأهرامات إلى عصر السد العالى والمدن الجديدة وأبراج «ولاد الإيه» الغالين علينا!

كل العالم يعرفه كوريث لأعظم حضارة إنسانـية أعطتنا أرقى العلوم والفنون والثقافات ، ولهذا يأتون إليه بالزوفة لرؤية أمجاده فى وادى الملوك والكرنك العظيم وتل العمارنة والجيزة وسقارة وبقية المناطق الشاهدة على عصور من العبقرية والإبداع والخلود!

بلدياتنا - بدون تجميل - قنوع وراضى بحاله، حتى ولو كان بصلة وقطعة جبنة قديمة و «هدمـة» «دمور» تستر جسمه، مادام حظه «المايل» أن يزرع محاصيل لاتدر أية أرباح مثل البصل والقصب والعدس والذرة العويجة التى يصنع منها رغيف «البتاو» ليسد به رمق «الحُرمة» وأطفاله طوال العام!

وهو يؤمن بالقدر والقسمة والنصيب بدلالة أنه يبنى لغيره فى العالى وبأغلى أنواع الطوب والأسمنت، ومع ذلك يعيش دائماً فى «الواطى» فى بيت من الطين، قد يكون - أحياناً - فى مجرات السيول التى تجرفه وتجرف ممتلكاته البسيطة فى لمح البصر، مادام أمره متروكاً للصدفة ومستقبله تحت رحمة النشرة الجوية!

بلدياتنا لم يتضايق يوماً من النكت الظالمة التى أطلقوها عليه فى مجالس الدخان الأزرق والمسرح والسينما ، لأنه يعلم أن «الهيافة» ليس عليها حرج، وأنها

لا تدين إلا الذين أهملوه ولم يخططوا للإرتقاء به وأكتفوا «بالتريقة» عليه بمواقف مفتعلة وملفقة لاتصدر إلا من الذين هبطوا بالقيم إلى أدنى مستواياتها!

بلدياتنا - بإختصار - يعلم أن محنته التى نزلت عليه من السماء دقت ناقوس الخطر أمام كل المسئولين، ولفتت الأنظار إلى «الجنوبى» الواقع من «قعر القفة» الذى أهملته كل الحكومات، وقد آن الآوان ليأخذ نصيبه - نصيب الأسد- من خطط التنمية، لأنه بدون رعاية وعناية بأهل الصعيد «الجوانى»، سيتحول هذا الجزء الغالى من وطننا إلى مرتع خصب لتفريخ الإرهاب، وسينفتح الباب على «البهلى» لكل أصحاب الشعارات المزيفة والأفاقين والأرزقية الذين يبحثون عن أى موجة لركوبها، حتى لو كانت موجة الكوارث الطبيعية!

المعلم «بروطين»
والـ٤٣ حرامى !

مستورد لحوم مجمدة بذمة مجمدة، له حس «بهيمى» لا يُعلى عليه، فهو يملك جهاز إستشعار عن بعد لإكتشاف الذبائح «الوقيع» فى أسواق أوروبا والأرجنيتين ونيوزلندا وهولندا وبقية بلاد العالم التى لم تخرم التعريفة مثلنا ولم تدهن الهوا دوكو!

لايشترى اللحوم بالطن أو بالكيلو لأنه يتعامل مع النفايات التى تباع باللوطات مادامت لاتجد من ياكلها فى بلادها، فهى مليئة بالدهون والشفت والفشة والذيول والحوافر والأمعاء الغليظة والرفيعة والكوارع المضروبة التى تحتاج «الحلة» منها إلى أنبوبة بوتوجاز بالتمام والكمال!

وهو ليس من سلالة معلمى المدبح الجدعان الذين يفهمون فى الأصول، ولكنه معلم موضة أخذها بالوراثة والدراع، كما أنه يرطن بالأفرنجى واللوندى وجميع لغات السوق، ويلعب بالفلوس لعب، ولا يرفض أى مال حرام مادامت «البلية» بتدور معاه، والسكة سالكة أمامه فى كل عصر وأوان،والهدف القريب والبعيد «فتح عينك تاكل ملبن».. أنت وضعفاء النفوس فى الرقابة الذين لن ياكلوا معك الملبن إلا إذا أغمضوا عيونهم!

ولأن المعلم «بروطين» يعرف أن التجارة شطارة، والغش يحب الخفية، فقد وضع ضميره فى «ديب فريزر» مع اللحمة «الزفرة» المليئة بمساكن إيواء إحتلتها البكتريا الحميدة والضارة على حد سواء!

وبرغم أن فضيحته تمت بدون حس ولا خبر، بعد أن ضبطوه متلبسا مع ٤٣ عجلا – آسف – مستوردا غشاشا أستطاعوا فى ظرف ٢٠ شهرا أن يستوردوا ما يقرب من نصف مليون طن لحوم إنتهت صلاحيتها، فقد أخذ يلطم أمامهم ويشق جيوبه بعد مصادرة «اللوط» الفاسد من نفايات اللحوم العالمية، قائلا للذين عاتبوه : فيها إيه يعنى.. ما طول عمرهم بياكلوا والناس عمّالة تزيد.. دى معدتهم تهضم الزلط؟!

والغريب أن المعلم بروطين بعد تلك الكبسة، لم يخرج من الموانىء مهزوما أو مستسلما للهجمة المفاجئة والقوانين الصارمة الجديدة، فقد رأيته يضع «رجلا على رجل» بإمارة و «ألاطة» وهو يقول لكل من حوله : إحنا ماشيين فى السليم.. ومعانا فحوصات مختومة.. واللى مش عاجبه يضرب دماغه فى الحيط.. وإذا كان ماعندوش حيط.. نستورد له واحدة تنهد من أول «روسية»!

حتى لاتتكرر مهزلة

هابيل وقابيل !

كان المفروض أن تنتهز إسرائيل فرصة وجود المصباح السحرى للسلام فى تشجيع السلطة الفلسطينية على إقامة مجتمع فلسطينى مستقر تشعر إلى جواره بأمان، ولكنها إستبدلت ذلك باللعبة الإنجليزية التى عفا عليها الزمن «فرّق تسد» بهدف سكب البنزين على النار ونشوب حرب أهلية بين التيارات والقوى الفلسطينية، وقودها الأوضاع الإقتصادية المتردية التى تركوها خلفهم فى غزة وأريحا، واللعب على الحبال بين القرار الأمريكى والموقف الأوروبى وظروف عرفات الصعبة جداً التى تضغط عليه بالبطالة والفقر والفاقة من جهة، وتكاد تخنقه من جهة أخرى بتشديد الحصار والعودة لسياسة الإغلاق الكامل أمام العمالة والمماطلة، والإستعلاء والغطرسة، والتهديد، والتركيز على قائمة الإغتيالات، وتشكيك الدول المانحة حتى لاتمد يدها بالمساعدة الى تؤدى إلى وقف الصدام والغليان والإنفجار فى المنطقة!

الملاحظ أن إسرائيل أصبحت تستخدم هذا المصباح فى طريق الندامة بدلاً من إستخدامه فى طريق السلامة، وتتعامل معه فى «الضلمة» بدلاً من النور، وإذا كانت قد وظفته بحرفنة لتفجير الشارع الفلسطينى فى يوم الجمعة الدامى الذى أسفر عن وقوع ١٥ شهيداً و ١٨٠ جريحاً في عام ١٩٩٥، ونجحت فى الحصول على مكاسب سريعة على صورة معونات مالية مكثفة - كثمن للسلام المكتوب على الورق - فإنها بهذا التفكير المتخلف القصير المدى تكون قد نسيت أن أغصان الزيتون هى مكسبها الحقيقى من كل الجولات السابقة، وأن الإستمرار فى إعتناق نظريات المؤسسة العسكرية التى لها - كما يدعون - ذراع طويلة وهراوة ثقيلة وجاذبية دولية لن تفلح فى حمايتها من المخاطر ولن توفر لها الإستقرار المنشود!

فالضغط على الرئيس ياسر عرفات لن يفيد، والتهديد المستمر لن يضعف

موقفه بقدر ما سيكون سهماً مرتداً إلى الرامى، فالرجل لايستطيع بين يوم وليلة أن يمحو بأستيكة من ذاكرة الفلسطينيين ماعانوه من تشرد وضياع ومهانة وبؤس وخوف وتعذيب وقتل وتكسير للعظام والأيدى ونسف للبيوت وإبادة للقرى، ولكنه يستطيع بالعقل والنوايا الطيبة والجهود المخلصة أن يخطو بالجميع إلى بر الأمان لو توافرت له الظروف الواقعية التى تدواى الجراح ولا تستعجل النتائج التى فشلوا – هم شخصياً – فى مداواتها!

بارقة الأمل فى كل ما يحدث، أن عرفات وشعبه المهمل بلا موارد ليسوا وحدهم كما يتصور البعض، لأنهم مؤيدون بكل القوى التى ساهمت فى صنع السلام، ولعلنا شاهدنا أخيراً على الساحة الدولية الجهد الخرافى الذى قام به الرئيس حسنى مبارك لرأب الصدع وتوفير الدعم المادى والمعنوى فى غزة وأريحا، حتى لا يتحول المشهد إلى دراما تنافس أفغانستان أو تعيد إلى الأذهان قصة هابيل وقابيل.. فوقتها لن تفيد الكلمات.. ولا مؤامرات الشوارع الخلفية.. وسيتجرع الجميع مرارة الكأس بلا تفرقة!

رءوف المنشار!
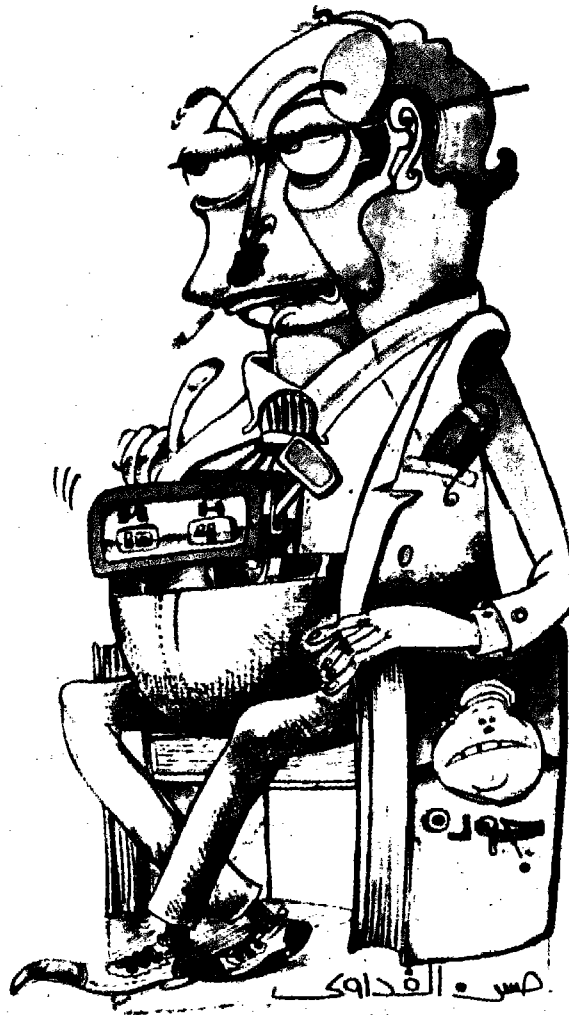
الاسم رءوف، واللقب «المنشار» لأنه «طالع يهبش، نازل يهبش»، فهو ولا الصقر شاهين، يهوى الإنقضاض على «الحبارى» من أولياء الأمور المقهورين و«البدارى» من التلاميذ التائهين!

يمارس اللعبة بفن وإتقان، فهو فى الحصة يكتفى بالعناوين والأحاديث الجانبية والواجبات الشكلية والإيحاء بأن المواد تحتاج إلى «فهّامة» صلاح جاهين أو أحمد رجب، لينتهى الشهر الأول بالشهادات المزينة بالكحك الأحمر الذى لن ينفع فى اليوم الأسود ولا فى اليوم الأبيض، والنتيجة - بالطبع - أن يهرول الأهالى فى هلع طالبين القرب والرضاءبأى ثمن، وهنا يبدأ فصل جديد من اللعبة عندما يتدلل الأستاذ ويعتذر بأن جدوله مشغول على الآخر!

وبعد «بهدلة» الأهالى و «الشحتفة» والسبع دوخات واللجوء إلى كل الوساطات بما فيها وساطة أولياء الله الصالحين، يحن قلبه ويعود اسما على مسمى.. رءوف بصحيح ويقبل على مضض أن يقوى التلميذ ويعالج مستواه «المهبب» بضمه فى مجموعة صغيرة لاتتعدى ستة طلاب، يدفع فيها ثلاثون جنيها فى الحصة.. وقال إيه أبوه سمىنفسه - قبل إختراع الشنيور - سمى نفسه منشار بذمتكم أليس فى هذاظلم ووحشية؟!

أحدث إبتكارات الأستاذ رءوف مع إخوانه المناشير ما يسمونه «السنتر» ويجتمع فيه فريق متكامل من الأساتذة فى شقة مفروشة، بعيدة عن عيون وزير المالية ورجاله، ويا ريت يكون بينهم أحد نجوم البرامج التعليمية وفصول محو الأمية حتى يرتفع دخل الشباك والباب، وتتحول الشقة إلى فصول مكدسة بـ٤٠ رأسا على الأقل لكل فصل، يتناوب عليهم فيها رجال المدبح (المعلمين) بالتقويم مقابل قبض «اللحاليح» مقدما!

ولاتندهش إذا ما عرفت أن رءوف المنشار وزملاءه «الهباشين» حريصون فى

«السنتر» على توفير الوجبات السريعة والمشروبات الساخنة والباردة وأحيانا السجائر لتلاميذهم الأعزاء، ولذلك يؤجرون بوفيه الشقة لمدرسين على باب الله - لا دروس ولا دياولو - لأن حظهم «الدكر» جعلهم يتخصصون فى الموسيقى والرسم والأشغال اليدوية والألعاب السويدية!

ولمعلوماتك.. الأستاذ رءوف قد يتعامل مع طلاب النقل بصورة أرحم من تعامله مع طلاب الشهادات، لأن طالب الشهادة يريد مجموعا، والمجموع يريد تضحية والتضحية تريد حسابا فى البنك، والحساب فى البنك لا يملكه إلا أولاد التجار والمستوردين وكبار رجال الصنف و«المسلكاتية والمهلباتية» وأصحاب نظرية «فتح عينك تاكل كل حاجة»!

وعندما تلتقى بالأستاذ رءوف المنشار وجها لوجه ستتعرف على الزوايا الخفية للمدرسين الحرامية، فتعامله مع طلبة المدارس الحكومية يختلف عن تعامله مع مدارس اللغات، لأن الشرح فى الدرس الخصوصى لن يستفيد منه الطالب «المتفرنج» إلا إذا دفع بعملة أهل بلد اللغة، فالإنجليزى بالإسترلينى، والفرنساوى بالفرنك، والألمانى بالمارك، والصعيدى بالقلل القناوى!

ومنك لله يا رءوف يا منشار أنت وزملاءك الذين نفضوا جيوب أولياء الأمور وجعلوهم يبيعون الحديدة وينضمون إلى حزب «عشانا عليك يا كريم»!

حامد مسعود بلاطة

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

حامد مسعود بلاطة.. من قرية «شنبارط الميمونة».. ينتمي إلى عائلة تعشق التمرغ في تراب الميري، والجلوس بإطمئنان وأبهة في دواوين الحكومة، فجده الأكبر كان كاتبا «كوبيا» في ديوان الجهادية (الحربية)، وأبوه تدرّج في المناصب الوظيفية حتى وصل إلى «باشكاتب» في قلم الشطب والإضافة في وزارة المالية، أما هو فبعد حصوله على شهادة متوسطة منذ ٣٥ عاماً أستوظف بصندوق الإحسان التابع لوزارة الشئون الإجتماعية والذي يتعامل مع الجمعيات الخيرية على مستوى الجمهورية!

كان زملاؤه المتزوجون ينادونه في العمل بـ «حامد المرتاح» لأن «خيره كافي شره» وماهيته سليمة أول كل شهر، فهو لا يستلف ولا يسلّف، ولا يشرب القهوة ولا الشاي، ولا يقرأ الصحف، ولا يهمه حتى الإستماع للإذاعة، ولا يعرف الطريق إلى السينما والمسرح!

وفجأة وهو يطل من نافذة حجرته الصغيرة فوق السطوح لمح على السطح المقابل «بلطية» تتهادى بدلال كما لو كانت تشجعه على الركض بقدميه إلى الأهل لطلب القرب الحلال بدلاً من الوصال والخيال عن بُعد، وكان ما كان بعد أن سال لعابه ووجد نفسه يقفز إلى الدرجة الثالثة في قطار الزوجية وهو يتأبط ذراع عروسه، ليبدأ حياته معها في شقة جديدة من حجرتين وفسحة بمنافعها، ولتنفيذ الجدول الدقيق الذي نظمته الست حرمه بمعدل طفل أو طفلة كل سنة!

وبدأت المتاعب تزداد مع زيادة التعداد داخل الشقة الصغيرة والأفواه المفتوحة للغذاء والكساء ومصروفات المدارس والمواصلات والعلاج، ووقع صاحبنا في «حيص بيص»، فلجأ إلى خبراته الحسابية التي أكتسبها من العمل لعمل الموازنة ولكنه فشل، وعندئذ نصحه الزملاء بإستعارة آلة حاسبة لأنها أدق، إلا أن الآلة - مع الأسف - أصابها الخلل، و رفضت الإجابة! .

وكان لابد أن يخرج عمنا «حامد مسعود بلاطة» من جو البيت إلى الشارع ليستلهم الحل، ولجأ إلى «المونولوج» الداخلى الصامت أولاً ولكنه لم يسعفه، وعندئذ بدأ يطرح الأسئلة – على نفسه – بصوت عال، ويجيب عليها قائلاً – مثل الزعيم سعد زغلول – «مفيش فايدة»!

وعندما اختلطت عليه الأرقام وتوقفت مشكلته أمام طريق مسدود عند ثلاث نقاط: الحذاء و «اللحمة» وملابس الأطفال، بدأ يعد أرقام السيارات فى الشارع بصوت مسموع حتى لا ينسى، ولم ينقذه من هذا الحال «المايل» إلا توقفه أمام كشك صحف ليقرأ العنوان الرئيسى : «صندوق النقد الدولى يطالب بخفض الجنيه أمام العملات الصعبة»!

ولأنه لم يعرف فى حياته أصعب من الجنيه المصرى، فإنه لم يكترث.. لأن الحسبة «بايظة» أصلاً.. سواء خفّضوا أو رفعوا!

جزار فى الحرم

كل الصفات تتواضع أمام هذا القاتل الرهيب باروخ جولد شتاين، فالوحوش الكاسرة تصبح فى نظرنا كائنات مسالمة أمام فعلته الردية، لأن الوحش يرتوى بدم الفريسة الواحدة، أما هذا الشيطان فقد شق طريقه وقت صلاة الفجر، بلحيته الكثة، وملابسه العسكرية، وطاقيته الصهيونية، وعندما هم المصلون بالسجود بين يدى الله ، ولست جباههم الأرض ، فتح عليهم النار بسيل من الطلقات ، ولم تشفع عنده صيحات الضحايا وهم يزحفون على ركام من الجثث، فراح يعمر بندقيته ليواصل مهمته الغبية ، ولم يكفه هذا الكم الهائل المتناثر من جحيم الرصاص فراح يقذف - حسب روايات شهود العيان - بثلاث قنابل يدوية ، ولم يسكت إلا بعد أن ضربه أحد الجرحى فوق أم رأسه بعامود حديدى كان بالصدفة فى أحد أركان المسجد !

إن هذا الدموى الشاذ لا نظير له فى كل سجلات التاريخ ، فكل السفاحين المشهورين يتحولون أمامه إلى صبيان وتلاميذ بداية من هولاكو وتيمور لنك وأتيلا إلى قائد الجستابو «هيملر» وقائد معسكرات النازى للتعذيب فى بولندا «هانز فرانك» الذى كان يستجيب لهواية ابنه الدلوعة فى الرماية فيحضر له كل يوم ثلاثة من الأسرى يربطهم فى شجرة ليتعلم فيهم الولد الضرب فى سويداء القلب!

باروخ جولد شتاين لم يكن مجنونا، بدليل أنه اختار يوما تاريخيا عند اليهود يرتبط بانتصارهم على الفرس، كما اختار يوما لتجمع أكبر عدد من المسلمين يتوافق مع الجمعة الثانية فى الشهر الكريم، وهو - كذلك - عضو بارز فى جماعة متعصبة تضم أشد اليهود ضراوة ممن يعيشون فى حى «بروكلين» بنيويورك ، وقد خرجت تلك الجماعة من رحم حزب كاخ الذى أسسه عميد الإرهابيين «كاهانا» وأطلقت على نفسها اسم «كاهانا شاى» أى «كاهانا ما زال يعيش» ورفعت شعارات عنصرية مخزية، تصفق في مجملها لشلالات الدم،

وتهدف بالدرجة الأولى إلى قذف العرب من كل شبر فى فلسطين بالطرد أو القتل أو الترويع !

لقد تآمر هذا السفاح القذر على مسيرة السلام ..

هكذا جاءت شهادات جرحى المذبحة ، الذين قالوا أن حصر عدد القتلى والجرحى لم يكن دقيقا، لأن أهل الشهداء كانوا يدفنون ضحاياهم فى عجلة حتى يهربوا من التدخل الإسرائيلى بالتحقيق والإجراءات ، ولهذا فإن العدد الحقيقى يزيد عن ٤٠٠ قتيل وجريح.. وقالوا – أيضا – أن هذا الدموى لم يكن وحده فى ساحة الحرم، بل كان معه شركاء يصوبون بنادقهم لكل من يحاول الهرب !

آه يا باروخ يا أبن الملعونة .. صحيح إنك رحت فى ستين داهية.. ولكننا نعلم أنك تترك خلفك فى المستوطنات آلف باروخ وباروخ.. كلهم على استعداد لتكرار الحادث بصورة أبشع !

لقد تخضب غصن السلام بالدماء .. فهل ينجح المتطرفون فى وقف المسيرة ؟!

العسل اليونانى المر !

كأنها شلال هادر بالحيوية، بشعرها الأصفر، وعينيها الواسعتين، ووجهها المعبر الذى يخفى خلفه قلقا بالغا ومزاجا حادا، وضحكاتها البديعة التى تنقل عدواها إلى كل من حولها فتغمر المكان كله بالبهجة والمرح !

رأيتها بالقاهرة فى الثمانينات ، ولم ألحظ أى فرق بين ملامح أول وزيرة بحكومة «بابا ندريو» بعد هزيمة الفاشية اليونانية بسقوط حكم الجنرالات ، وبين ملامح الممثلة التى جعلتنا نستمتع بدورها الجميل كغانية فى فيلم «أبداً الأحد» الذى صفق له العالم واستحقت عنه جائزة أفضل ممثلة فى مهرجان «كان» السينمائى !

إنها الممثلة المشهورة بحضورها السينمائى الهائل «ميلينا ماركورى» التى ما إن فشل العسكريون فى اغتيالها حتى جردوها من جنسيتها وصادروا ممتلكاتها، لأنها تجرأت ووقفت فى وجه السياسيين «المقرفين» الذين خيبوا الأمل الشعبى وباركوا الهيمنة الأجنبية ووضعوا كل أصدقائها الوطنيين فى السجون !

لقد عادت «ميلينا» – أو العسل كما يعنى اسمها – إلى وطنها العريق، لتستقبلها زفة ما بعدها زفة فى المطار ، كانت الجماهير الهادرة تهتف باسمها بعد أن تحررت من قيود الظالمين ، وكانت – كعهدها – قوية ، شامخة كالمهرة الجامحة، فأصرت على أن تلهب حماس الجماهير أكثر بأغنية للحب والحرية : «عاد الوحوش يا وطنى إلى أقفاصهم .. فالبحر واسع عميق.. وستعود يا شعبى يونانينا مرة أخرى» .

وبعد عودة الفنانة التى أحبت فى مطلع حياتها المسرح والسينما إلى حد الجنون ، هجرت الفن، وتفرغت للسياسة التى كانت تجرى فى دمها ، فوالدها وزير سابق وجدها رئيس لبلدية أثينا ٣٠ عاما، وفازت كنائبة فى البرلمان عن منطقة «بيريه»، ثم أصبحت وزيرة للثقافة والحضارة، تقيم ٦٠ مسرحا فى

الأقاليم ، وتحيى فن الأوبرا ، وتحمى كنوز الآثار من التبديد والضياع والسرقة !

وفجأة ودعتنا للأبد الفنانة السياسية التى كانت كالنحلة تمنح العسل والشهد لشعبها وتعطى اللدغات المرة القاسية لجلاديه !

ودعتنا ونحن نحلم مثلها بأن يتجمع كل البشر على الحب والعدل والسلام، وأن يتوحدوا فى مواجهة أعداء الحياة وأعداء الديموقراطية والنغم الجميل ، وأن تعود كل وحوش العالم إلى أقفاصها !

كيف نحتفل بهذا المفكـــــــــر؟
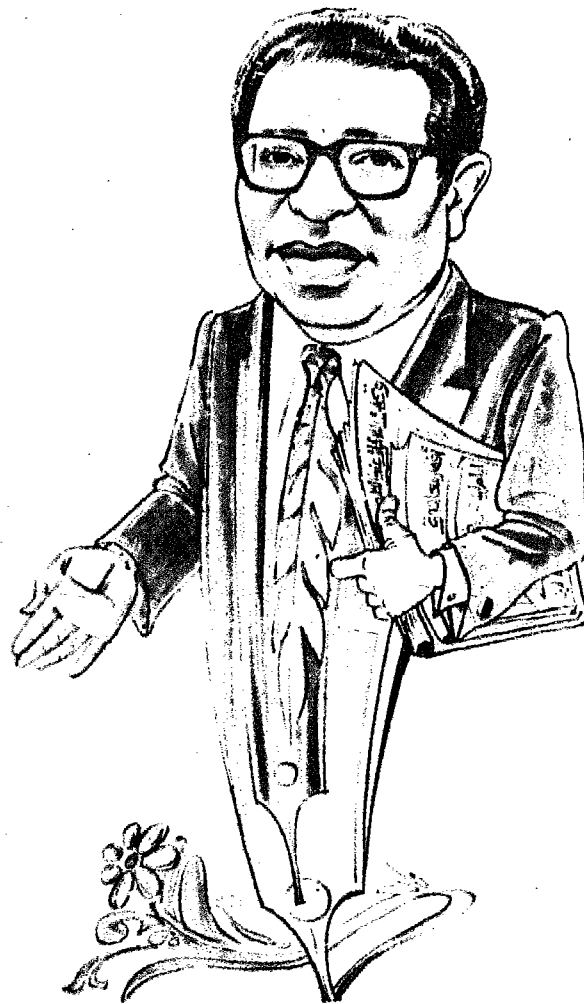
هذا المفكر الذى توزن كلماته بالذهب والياقوت والمرجان تحتفل به محافظة أسيوط باعتباره واحدا من ألمع أبنائها الذين أسروا حياتنا الفكرية والصحفية لأكثر من نصف قرن، وتميز أسلوبه بالسهل المتنع ، وكان ولا أجدع جراح يضع مشرطه على موقع الداء فيعالجه دون فهلوة أو إطلاق بخور أولعب على الحبال، ولكن بفكر عميق ورؤية مستنيرة ومنطق يضع المقدمات التى تقوده حتما إلى النتائج .

إنه الكاتب الكبير – الذى فقدناه – أحمد بهاء الدين الذى لعب دوراً متفرداً فى صحافتنا المعاصرة وحياتنا السياسية، وتركنا فى وقت نحن فى أشد الحاجة إليه بقلمه الرزين وأفكاره المتميزة وعقلانيته الفائقة وقدرته الفذة على التنوير ومناقشة أصعب القضايا بأسلوب يتسم بالصدق والموضوعية، بلا فذلكة أو ردح أو «تنطع» أو قلة أدب نتيجة لقلة الحيلة !

حكاية الاحتفال بأحمد بهاء الدين تعود إلى عشاق كتاباته وتلاميذه ومريديه الذين كونوا جمعية فى لندن وأخرى فى القاهرة لتبنى أفكاره والعمل على استمرارها، وكانت أول أعمالهم إقامة مدرسة تحمل اسمه فى قريته «الدوير» واتفقوا مع الثقافى صلاح شريت بأن تقام أثناء هذا الأحتفال ندوة ثقافية يشارك فيها العديد من كبار الكتاب والمفكرين، وكانت مبادرة كريمة من محافظ أسيوط على أن يرعى المناسبة ويهيء لها كل أسباب النجاح ، وإن كنت أرى أن هذا الجهد يشكر عليه من فكروا فيه وأخرجوه إلى حيز التنفيذ، ولكن ألم يكن من الأجدر والأفضل من إحياء عطاء تلك الشخصية العظيمة أن نتجاوز مرحلة الخطب المدبجة والإشادة بالمآثر، بأن نترك للأجيال ما يفيدهم ويطور أفكارهم ويبعدهم عن الوقوع فى براثن التيارات المريضة المتعصبة التى تحض على الارهاب والتخريب وقتل الأبرياء بأن نفتح نوافذ المعرفة لتخرج منها نسائم فكر أحمد بهاء الدين من خلال إنشاء مكتبة تحمل اسمه وتضم مؤلفاته ومؤلفات الآخرين ، وتستطيع المحافظة أن تتصل بأسرته لتساهم – شخصيا – بمكتبته التى نعرف أنها من أثمن المكتبات فى مصر لما تحتويه من كنوز الفكر فى كل ألوان الثقافة والسياسة والفن والأدب، بالإضافة إلى تخليد اسمه بإطلاقه على شارع رئيسى من شوارع محافظته العريقة التى أنجبت ساسة وقادة وشعراء ومفكرين وفنانين أصبحوا علامات مضيئة فى تراثنا الوطنى .

فنان من عصر الظرفاء

برغم أنه من الكتاب الرومانسيين الحالمين، إلا أنه يعد من أشهر ظرفاء مصر، ساعده فى ذلك الظـــرف تكوينه الجسمانى الفارع الطول، وصوته الجهورى العميق الذى يتميز باختيار العبارات الرشيقة الجذابة، والارتفاع والانخفاض فى النبرات، وعدم السماح لك بتجاوز الخط الأحمر لو بدأ الحديث فى «المكلمة» الصباحى!

كان صعلوكا يجيد الصعلكة من يومه، لم يستقر على حال منذ نزوحه من ريف المنصورة إلى القاهرة فوق حمار، واستقراره فى حى الحسين على أمل أن يحقق حلمه فى الكتابة بصحف القاهرة، وبرغم معاناته لشظف العيش وفقدان المأوى فى مستهل حياته، فقد استطاع أن ينتزع - بجدارة - لقب الفنان الشامل، وأن يكتسب شهرة عريضة، وأن يمتلك سيارة هيلمان سوداء عمرها ١٧ سنة بالتمام والكمال، أطلق عليها اسم «عزيزة اللذيذة» فهى تشبه المرسيدس فى الأبواب والمصابيح والكلاكس، وتتميز عن أى سيارة فاخرة بأنها تعرف معنى الاحتجاج، وكثيرا ما ترفض الحركة وتلزم الصمت العبقرى، وعندما تتحرك فهى تتحرك بعنف، وترفس الأرض ولا أجدع حمار!

هذا هو الكاتب الفنان عبد الرحمن الخميسى الذى وصفه الساخر الكبير محمود السعدنى عندما التقى به لأول مرة بأنه نموذج للفنان الذى رسمه في خياله، فهو شديد الزهو، شديد البساطة، عظيم الكرم، دائم الفلس، يرتدى ملابس أنيقة غالية الثمن، وكان يمشى فى الطريق يتبعه أكثر من شخص يلازمونه كظله ويطيعون إشاراته!

وعندما روى الدكتور يوسف إدريس قصص الحرمان الذى ذاقه الخميسى فى طفولته وتقلبات حياته الصعبة، لم ينس دوره الخطير فى القصة القصيرة، وكيف أصبح هذا النبات البرى كاتبا لايلين من أجل حقوق الشعب وحرياته سواء فى

عهود الاستبداد والطغيان أو فى عهود الانتصارات الوطنية.

وأعطاه كامل الشناوى لقب «القديس» عندما ركب معه حنطوره وفوجئ به يعطى العربجى عشرة جنيهات هى كل ما فى جيبه ليشترى بها الدواء لابنه المريض، فنظر إليه بعد مغادرة الحنطور وهو يقول: إيه اللي عملته ده.. طب إديله النص وخلى النص نصرف منه، ده لو قديسا مكانش عمل اللى عملته.. ومن يومها انتشرت التسمية بعد أن وزعها كامل الشناوى فى كل جلساته!

سافرت معه فى بداية السبعينات إلى العراق ضمن ٢٠ صحفيا وكاتبا اختارهم نقيب الصحفيين وقتها على حمدى الجمال لمنع نقل مقر اتحاد الصحفيين العرب من القاهرة لبغداد، وعندما نزلنا من الطائرة وبدأنا نستعد للخروج من المطار فوجئنا بالموظفين وقد تركوا أعمالهم والتفوا حول الخميسى غارقين فى الضحك من بطاقة الدخول التى ملأ بياناتها كالتالى:

- الاسم : الفنان عبد الرحمن الخميسى
- المهنة : ممارسة الحياة بالكلمة والنغمة
- الجنسية : إنسان من جمهورية مصر العربية
- تاريخ الميلاد : لم يولد بعد وسيعيش مليون سنة

وعدنا عقب تلك الزيارة بمقر الاتحاد - كما هو - فى القاهرة، ونسينا الخميسى فى الطريق، بعد أن وجد مجالا خصبا لممارسة صعلكته فى الدنيا الواسعة، إلى أن رجع إلينا فى صندوق خشبى بداخله وصية تستحلفنا بأن ندفنه بجوار شجرة وارفة الظلال.

لقد تجاهلنا هذا الفنان الرائع الذى ظل ممتلئا بالنشاط والحيوية إلى آخر لحظة في حياته، عندما مرت ذكرى رحيله دون كلمة واحدة من النقاد أو حتى الأحباء والأصدقاء وما أكثرهم!

وكأننا أردنا بهذا التجاهل أو النسيان أن نحول هذا الفيض الهائل من القصص والمقالات ودواوين الشعر والمسلسلات والمسرحيات والأفلام التى تركها الفنان عبد الرحمن الخميسى خلفه، إلى مجرد حجر يلقيه الإنسان فى الماء!

ناظر مدرسة الكاريكاتير

ظهرت رسوماته فى فترة كانت فيها حكومة صدقى باشا قد ألغيت دستور ١٩٢٣. وفصلت دستوراً جديداً على المقاس، ولم تكتف بإغلاق عشرات الصحف بجرة قلم، بل نكلت بمعارضيها من الصحفيين ورسامى الكاريكاتير ورمتهم فى السجون، ولهذا أمضى أربع سنوات كاملة وراء الأسوار كثمن لإحدى رسوماته المشاغبة عن رئيس الوزراء الذى لا يطيق النقد ويعتبره جريمة لا تغتفر !

وبعد خروجه من سجن «قره ميدان» راح يؤكد أن السجن للجدعان وأصحاب الرأى ومن لديهم الشجاعة فى أن يقولوا «لا» وألف «لا» لكل مستبد أو طاغية أو عدو للحرية، وهكذا واصل معاركه السياسية والاجتماعية بدون تراجع أو مهادنة للفساد!

كان محمد عبد عبد المنعم رخا - واسمه المختصر رخا - أول رسام كاريكاتير مصرى يشق طريقه وسط عمالقة الكاريكاتير الذين هم من أصل أجنبى مثل الأسبانى «سانتيس» والأرمنى «صاروخان» والتركى «رفقى» والروسى «فيدروف» والفرنسى «برنى» وبرنار وكيزار وغيرهم!

ولم تكن رسوماته تطل علينا من الأبراج العاجية، ولكنها وليدة نبض الشارع والزقاق والحارة والدحديرة والعطفة وولاد الحتة الشقيانين والتعبانين، ولهذا كانت تعبر تعبيرا صادقا عن الواقع المصرى من خلال ابتكاراته لشخصيات مصرية صميمة مثل المصرى أفندى بطربوشه وسبحته التقليدية، وابن البلد بجلبابه البسيط واللاسة النايلون والطاقية الشبيكة بوجهه وذكائه الحاد وألفاظه اللاذعة ونكاته الحراقة للأداء الحكومى السئ، وبنت البلد بالبرقع والملاية اللف والجمال الربانى المعتبر وهى تسخر من العادات الأجنبية الوافدة التى تخرب نفوسنا وتجيب علينا واطينا، وقرفان أفندى الذى يخاصم الابتسامة، ومنيمى بيه الدلوعة المايص، ورفيعة هانم زعيمة حزب الجميز مع زوجها السبع أفندى أبو شنب بريمة

صاحب الجسد الضئيل والقامة القصيرة المسلوب الإرادة أمام هذه الدبابة البشرية !

لقد كانت تلك الشخصيات وغيرها ميراثا عظيما تركه خلفه الفنان رخا، فاتحا الطريق أمام أجيال الرسامين من بعده لمدرسة جديدة فى فن الكاريكاتير كان هو رائدها، وهي مدرسة إبداع الشخصيات الضاحكة التى تلهب بسياطها ظهر الفساد الإدارى والسياسى والاجتماعى، وتربطها بالقراء من أبناء الشعب علاقات حميمة جعلتهم يلتفون حوله تمام كما ألتفوا حول سيد درويش فى فن الموسيقى والغناء ومحمود مختار فى فن النحت!

تحية تقدير وعرفان لناظر مدرسة الكاريكاتير الفنان رخا فى ذكرى رحيله!

الغـــول

غول التلوث واخد راحته على الآخر فى مصرنا المحروسة، لا أحد يقف فى وجهه ويمنعه من مواصلة هتك عرض أجساد الناس وعقولهم وأنفاسهم وحقهم فى الاستمتاع بالهدوء والراحة، وإذا لم تصدقنى فإننى أنصحك بالذهاب إلى المقطم لترى - وقلبك مرعوب - السحابة السوداء التى تحجب سماء القاهرة وتجعل كل بنى أدم فى ربوعها يدخن يوميا - بالعافية - مائة سيجارة محشوة بالأتربة والأبخرة وعوادم السيارات، وما خفى كان أعظم!

الغول لا يسيطر على الجو والأرض والبحر فقط، ولكن أصبح ينشب مخالبه الحادة فى الأطعمةالفاسدة، والمياه المشبعة بالطحالب والبكتريا ومخلفات المصانع وصناديق القمامة التى استسهلت القطط والكلاب الضالة نبشها وبعثرتها على الأرصفة وفى قلب الميادين، ما دامت بدون غطاء ولا ينقلها عمال النظافة إلا فى المناسبات الرسمية وتشريفات كبار الزوار!

وآه لو فكرت فى أن تزور مشتى حلوان الذى استخدمه أجدادنا أيام زمان كمنتجع ومصحة لاسترداد الصحة والعافية، وقضى فيه عمنا بيرم التونسى أواخر أيامه بعد أن نصحه الأطباء بالذهاب إليه للاستشفاء من الربو، إن تلك الضاحية الجميلة فقدت الآن رونقها، وأصبح كل شئ فيها يموت ويذبل نتيجة سقوط مايقرب من ٢٩٠ طنا من أتربة الأسمنت فى الميل المربع الواحد، بمعدل يزيد ٢٥ مرة على المعدلات المسموح بها عالميا، ولهذا، فأمر طبيعى أن تشاهد هناك أوراق الأشجار مغطاة بطبقة من الأسمنت، وغسيل النساء على الحبال فقد لونه وأصبح لا ينفع فيه أجدع المساحيق التى تطاردنا بها إعلانات التليفزيون ليل نهار، وهذا بخلاف الحالات المرضية التى أصيب بها بعض السكان كبارا وصغارا بداية من تحجر الرئة وحساسية الصدر والعين ولين عظام الأطفال إلى الفشل الكلوى والكبدى!

غول التلوث – بصراحة – أصبح الآن عدونا الأول وبرغم ذلك لا نحرك ساكنا – حكومة وأهالى – فى مواجهته، فالزحف العشوائى للمبانى مستمر برغم صرخاتنا الضائعة فى مهب الريح، ونصيب الفرد من الحدائق يتقلص إلى ٢٠ سنتيمترا مربعا، والأرض الخضراء يلتهمها عتاولة الربح السهل – وإذا ماكانش عاجبك اضرب دماغك فى الحيط – ومنسوب المياه الجوفية يرتفع ، ومخلفات الصرف الصحى آخر حلاوة بعد أن تحولت الشوارع الخلفية إلى برك ومستنقعات تختفى بقدرة قادر من الشوارع الرئيسية، بينما شواطئنا مستهدفة من السفن التى تريد التخلص من نفاياتها الخطرة، ومعدل مساهمتنا فى توسيع ثقب الأوزون الذى يؤدى إلى ارتفاع سخونة الأرض يتم على خير وجه، أما الافراط فى استخدام المبيدات الحشرية والكيماوية للتخلص من الآفات الزراعية والحشرات المنزلية فهو يكفى لسح كل جيوش التتار لو بعثت من جديد، وياعينى على التلوث الضوضائى الذى يطاردنا فى كل الأوقات فى صورة كلاكسات وشرائط مسجلة وباعة سريحة وميكروفونات أفراح ومآتم و« سرينة» البيه المحافظ رايح جاى من الديوان... و.... «الطمى معايا ياللى عاملة طرشة»!

رجل من قبيلة
العملة النادرة

أديب وصحفى من قبيلة العملة النادرة، مازال يكتب حتى يومنا هذا بلا توقف دون أن تهزمه الغربة أو يطفئه الاكتئاب أو يدور فى الدائرة الجهنمية للرتابة والتكرار والجرى وراء المعانى المستهلكة والقوالب الجاهزة !

هزم دراسة القانون بالأدب منذ أن استقال من إدارة التحقيقات بوزارة المعارف لينطلق على صفحات «روز اليوسف» إلى الشهرة !

كانت أعنف معارك فتحى غانم تلك التى أصدر أثناءها بيانا مع رشاد رشدى على صفحات «أخر ساعة»، يرفضان فيه يوسف السباعى وإحسان عبد القدوس وعبد الحليم عبد الله وغيرهم باعتبارهم من الجيل السابق الذى تخلف عن فن كتابة القصة، ورد عليهما يوسف السباعى بمقال نارى عنوانه «ليز ولين القصة المصرية».. وكانت ليز ولين راقصتين يهوديتين ترقصان كل ليلة فى أوبرج الأهرام بالشمعدانات، ورد عليه فتحى غانم بمقال أكثر عنفا عنوانه «التلميذ البليد يكتب فى فوائد الجريد» !

وإذا كانت روايات فتحى غانم بما فيها «الجبل» و «الرجل الذى فقد ظله» «وحكاية تو » «والساخن والبارد» «وزينب والعرش» و«الأفيال» «وبنت من شبرا» «وست الحسن والجمال» «وقط وفأر فى القطار» وبقية الـ ١٤ رواية والأربع مجموعات قصصية قد تميزت بالجرأة والفكرة العميقة ودقة التفاصيل وتجسيد معظم أشكال الناس بنزواتهم وغرائزهم ومواطن قوتهم وضعفهم ، فإن كتاباته النقدية – هى الأخرى – لا تقل قيمة عن إبداعاته الأدبية، بل وتكشف الزوايا الجديدة التى تنبهنا إلى حقائق غائبة عن الأذهان والتاريخ .

مثلا ، الفنان مختار فى رأيه هو أول مثال مصرى يعيد الحياة إلى النحت المصرى، ويستشهد على ذلك بتمثال نهضة مصر الذى حاول أستاذه «كوتان» أن يشجعه على تحسين فكرته ليصبح فى النهاية عبارة عن إمرأة جميلة ، تقاطيع

وجهها حادة واضحة ، تمسك في يدها سيفا كما لو كانت نسخة مكررة من «چان دارك» الفرنسية، وعندما أحس مختار بأن الفكرة ليست مصرية ولا جميلة ألغاها ، ودخل إلى شرنقة الفن الفرعوني ليخاطبنا بلغته الخاصة فكان تمثال نهضة مصر لفلاحة مصرية توقظ أبا الهول .

وعندما يتعمق في الفن في حياتنا نجد ألحان سيد درويش ثائرة على الصنعة القديمة ومتأثرة بالطبيعة والسجية المصريةونتأكد بأن حبنا لأم كلثوم يرجع لطريقتها الطبيعية في الأداء وقدرتها على تجريدنا من القيود السياسية والاقتصادية التي تضغط علينا، أما عميد الأدب العربي الدكتور طه حسين فيلتف الناس حول أفكاره دائما لما فيها من تحرر وانطلاق، بينما يوسف بيه وهبي يعتلي منصة الزعامة السياسية بين الجماهير بعباراته المتفردة التي فرضت نفسها على المجتمع المصري لفترة طويلة مثل «ياللهول» و«شرف البنت زي عود الكبريت ما يولعش إلا مرة واحدة»، وطبعا العبارة الأخيرة كانت قبل اختراع الولاعات الأتوماتيك !

إن فتحي غانم بفوزه بجائزة الدولة التقديرية في الأدب عام ١٩٩٥ إنما يعيد للجائزة قيمتها، ويحصل بجدارة على حق تأخر عنه - بدون مبرر - لعدة سنوات.

الساخر
متعدد المواهب

كان الكاتب الكبير عبد القادر المازنى مثل أغلب المصريين عندما لا يجد شيئاً يسخر منه فإنه يتهكم على نفسه وينتقد أعماله الأدبية بقسوة ، بل وأحياناً يدعوك ألا تضيع وقتك معه لأن مقالاته - كما قال فى مقدمة كتابه حصاد الهشيم - لا يدعى فيها شيئا من العمق أو الابتكار أو السداد، ولا يزعم أنها ستحدث انقلابا فكريا، ولكنه يقسم للقارىء بأنه يشترى عصارة عقله وإن كان فجا، وثمرة اطلاعه وهو واسع ، ومجهود أعصابه وهى سقيمة بأبخس الأسعار !

وكان النقاد يخالفونه هذا الرأى ، ويرون أن إنتاجه ملء السمع والبصر لأنه إنتاج فكرى وإنسانى ووجدانى متكامل، فهو أديب متعدد المواهب يكتب فى القصة والشعر والنقد والترجمة والمقالة الصحفية بروح شفافة وحساسية مفرطة وظرف ممتع وخفة روح ممتزجة ببساطة الحياة وهدوئها وعزلتها الاختيارية، وكثيراً ما يداعب القارىء بما لا يتوقع ، ويصدمه بهزار من النوع الثقيل ، فقد كتب مثلا على قبره بالخط العريض :

أيها الزائر قـــبرى اتل ما خُط أمامك
ها هنا ترقد عظامى ليتها كانت عظامك

عبد القادر المازنى واحد من الذين تربعوا على قمة عرش الأدب الساخر بمؤلفاته الرائعة الـ ٢٨ التى تركها خلفه، وكان قصير القامة ، يشكو من سوء صحته ، وعرج خفيف يشوب مشيته، والملل واليأس الذى يجعله دائما مستخفا بالحياة ، وكان يعوض كل عيوبه الجسمانية والصحية بخفة ظل نادرة فى جلساته وحياته اليومية، حدث أن كان يسير مع أحد اصدقائه فى الطريق، واختلف صديقه مع بائع عملاق ضخم حول السعر، وكاد البائع يضرب هذا الصديق، ولكنه فى آخر لحظة نظر الى المازنى وهو يقول أنا حاسيبك بس علشان خاطر "العيل اللى معاك"!

وأطلق المازنى على نفسه وعلى كاتبنا الكبيرة عباس العقاد رقم ١٠ ، فالعقاد مفرط فى الطول كرقم واحد. والمازنى قصير مثل الصفر، وحدث أن اشترى

العقاد صديريا بديعا من فلسطين ورآه المازني فأعجبه جداً وقال للعقاد: وحياة أبوك المرة الجاية تجيب لى واحد زيه أعمله بالطو !

ودخل مرة مذعوراً إلى مقر صحيفة ليسأل كل من يلقاه "ما فيش واحد طويل دخل هنا؟". وسألوه عن سبب السؤال فأجاب أصله "خلانى ماشى وداس على طربوشى"!

وكان المازنى مدعوا مع لفيف من الأدباء للغداء ، عند دسوقى أباظة باشا، فخلع أحدهم طربوشه قبل الغداء ، ثم عاد لتناوله بعد أن انتهى من الوليمة، ليكتشف أنه قد استبدل بطربوش آخر ضيق، وعندما صاح الضيف : ده مش طربوشى لأنه ضيق قوى .. رد عليه المازنى فوراً: لأ.. هو ده طربوشك بس أنت سمنت من الأكل !

ومرة دخل أحد أعضاء المجمع اللغوى على لطفى باشا السيد وهو يقول: أنا عاوز منك حاجة صغيرة يا باشا فحبكت القفشة على المازنى فأسرع يقول: ما تخليها يا راجل لما تكبر أحسن !

وقد احترف الأدب عندما كان مدرسا للغة الانجليزية ، وأراد طلبته المشاغبون أن يداعبوه بدعابة سخيفة تدفعه إلى الخروج عن وقاره، فنشروا له داخل الفصل حمضا كريه الرائحة ، ولكنه تجاهل المقلب وتحمل الرائحة الكريهة وأمر بإغلاق النوافذ جميعاً، وشرع فى درسه فى حماس، متحاملا على نفسه إلى أن كاد الطلبة يختنقون فاستغاثوا به راجين فتح النوافذ مع التعهد بعدم تكرارها مرة أخرى !

الغريب أن الأديب الساخر الفذ جاء مولده فى شهر أغسطس ١٨٨٩، ورحل فى الشهر نفسه عام ١٩٤٩، وعاش طوال عمره يملأ الحياة الأدبية بالفكر الرائع والشعر المتمرد والسخرية العميقة والعاطفة الجياشة والنقد اللاذع لعمالقة مثل أحمد شوقى وحافظ إبراهيم والمنفلوطى والعقاد ، ولم تكن قامته القصيرة – بأى حال من الأحوال – عائقاً حال بينه وبين مطاولة بقية عمالقة عصره .

الصحفية
الحديدية

كانت دائما تستغرب من الرأى العام فى مصر الذى ما زال يستنكر شهادة حق فى امرأة ، فالمرأة مجرد «عورة» يجب أن نسترها ونخفيها ونمحوها بأستيكة من المشاركة فى قضايا المجتمع إن أمكن !

فعندما أرادت أن تكتب شعرا وهى طالبة مثل بقية خلق الله من الرجال فى لوعة المحبين، خرج لها من القمقم الشيخ مختار مدرس اللغة العربية ليعاقبها على كتابة مثل تلك الأبيات وهو يقول : «قلة أدب» !

وعندما ارتدت بنطلونا محتشما جدا ولعبت به التنس في ملاعب الجامعة ، اندفع زملاؤها الطلبة من نفس قمقم التقاليد «المصدية» وهم يهتفون ضدها فى مظاهرة عارمة يسقط الفسق والفجور والخلاعة !

وعندما طالبت بمزيد من الحقوق للمرأة فى عهد عبد الناصر، وحصلت فعلا على حق الانتخاب فى عام ١٩٥٦ ولم يستطع أن يجاريها أحد فى مطالبها الجريئة التى تجاوزت الحقوق السياسية والمساواة فى التعليم فأخذوا المسألة من قصيرها وهادنوا أسيادنا الخارجين من عباءة المباح والمحظور !

وعندما قالت إن قوانين الأحوال الشخصية بها تحقير كبير للمرأة وتمثل مهزلة اجتماعية لا يجب السكوت عنها، انبرى لها ألف عفريت وعفريت يهددونها بتشويه وجهها بماء النار وشق بطنها والمطالبة بإعدامها فى ميدان عام !

وعندما هاجمت تفضيل الرجل على المرأة في كثير من الوظائف دون سند قانونى ودون داع ، وقالت إن المرأة مقهورة ولم تنل من الإصلاحات إلا ربع ماتحتاج إليه وكله ضحك على الذقون، خرجوا لها مرة أخرى من القمقم واتهموها بالتحرر والثورة على تقاليد سى السيد ، وأن الأجدى لها أن تقنع بالأمومة وحدها، وتعيش حبيسة أسوار الجهل والظلام والاعتزال بعيدا عن هموم الوطن العامة، والاكتفاء بالمثل القائل «ضل رجل ولا ضل حيطة» وأوعى ياست أمينة تصدقى سعاد حسنى وهى تغنى «البنت زى الولد، ما هش كمالة عدد» لأن المشكلة لن تحل برأى أو أغنية ما دام الجيل النسائى الحالى غاية مراده القيود

د بالنهار والليل فى البيوت فى انتظار أبو «لاسة» نايلون ودماغ من العصر
ى !
ندما طلب منها الكاتب الكبير محمد التابعى أن تندس وسط نساء الوزراء
اء فى حمام سباحة سان ستيفانو بالإسكندرية وتسجل فى ذاكرتها
ثهن السرية، نجحت فى مهمتها ونشرت التحقيق فى مجلة آخر ساعة ،
، الدنيا ولم تقعد ، وأحست بما ارتكبته من خطأ فاحش، وعاهدت نفسها
مها ألا تسمع شيئا ليس من المفروض أن تسمعه، وألا تتصنت على الناس
وراء السبق الصحفى !
ه هي باختصار حكاية الصحفية الحديدية والكاتبة المبدعة أمينة السعيد
بدعتنا للأبد ، والتى كان لا يذكرها «إميل زيدان» فى اجتماعات التحرير
لهلال إلا بقوله: أرجل صحفي عندي !
ى ابنة زينب هانم الرقيقة الهادئة الحنون التى ماتت بداء القلب بعد أربعين
من رحيل زوجها الطبيب المشهور الدكتور احمد السعيد الذى ورثت عنه
ا الشخصية القوية والعقلية الطموحة والثقة الزائدة بالنفس وعدم التفرقة
ة بين عقل الرجل والمرأة !
ى أول فتاة تتخرج فى كلية الآداب، وأول فتاة يسمع الجمهور صوتها فى
ة الأهلية ، وأول صحفية تساند حركة السفور التى نادت بها هدى
وى، وأول رئيسة تحرير لحواء أول مجلة نسائية فى مصر والعالم العربى ،
رئيسة تحرير لمجلة المصور بعد فكرى أباظة، وأول امرأة نقيباً للصحفيين
سلاح سالم ، وهى فوق كل هذا وذاك مدرسة صحفية لها أسلوبها وتقاليدها
ؤها التى تستبسل من أجلها حتى آخر رمق فى حياتها !
حم الله أمينة السعيد ، وعوضنا عنها بجيل جديد من الصحفيات لا يسبح
تيار طمعا فى السلامة، ولكن يجابه الخطأ والتخلف والعقول المغلقة - عن
ع - طمعا فى الثواب والأجر من الله، والشكر والعرفان بالجميل من كل
ة مكسورة الجناح .

شــــاعر
بدون هزار
ولا «قزازة» ولا فرفشة !

كانت الأغنية قبله هابطة وحالها يغم!

وكانت الأغانى الشائعة فى ذلك الوقت من نوع

خليك على عومى يا موج البحـر

لا لبـــس بمبـــى وأقلـــع بمبى

وأخدك على جنبى واعدى البحر

يعنى لابد للحبيبة أن تكون سباحة «لهلوبة» ومن أبطال رفع الأثقال حتى تستطيع أن «تشيل» الواد «روميو» على جنبها لتصل به إلى الشاطئ فى أمان، وغالبا ما يغرقان معا!

ولم يكن المؤلف الفذ المعلم بيرة صاحب معلّقة «السح الدح امبو» قد ظهر وقتها، ولكن كان هناك أكثر من معلم بيرة يؤلف الأغانى الخليعة الخالية من الذوق مثل «إرخى الستارة اللى فى ريحنا أحسن جيرانا تجرحنا» أو« بعد العشا يحلى الهزار والفرفشة» أو«هات القزازة وأقعد لاعبنى دى المزة طازة والحال عاجبنى»، بل واستقبل الجمهور أيامها فى ذهول هذه الأغنية التى فرقعت بصورة مذهلة وأصبح يرددها عامة الناس وكأنهم عثروا على رائعة لبتهوفن:

قمـــــرة يا قمــورة يامحنـــــى ديل العصــــفورة

إن كنت خايف من أبـويا	أبويا عدى المنصـــورة
وإن كنت خايف من أمـــى	أمـى عليه ســـــاتورة
وإن كنت خايف من جوزى	حشاش وواكل داتـورة
وإن كنت خايف من البواب	أعمى ورجله مكسـورة
وإن كنــت تايــــه عن بيتـنا	بيتنا قصاده دحدورة
وإن كنت تايه عن إســــمى	إسمى منيرة الغندورة

ولم ينقذنا من انتشار وباء الأغنية الهابطة إلا شاعر غنائى مبدع مثل شاعر

الشباب أحمد رامي الذى نزل من على قمة القصيدة الفصحى الوجدانية والعاطفية والوطنية إلى السهل الأخضر للأغنية الدارجة، ولم يكن اقتحامه لهذا الميدان مجرد نزوة أو مغامرة أو فكرة عشوائية ،ولكنه أمر ضرورى لمواجهة هجمة «جراد» الأغنية بأجمل الصور والمعانى الشاعرية للكلمة العامية، وبذلك نجح فى إخراج الأغنية من غرفة الإنعاش إلى عالم رحيب كله صحة وعافية وحب وجمال وحلم وإخلاص نبيل، فاستمتعنا حتى النخاع بأروع الأغانى التى غنت معظمها أم كلثوم مثل «النوم يداعب جفونى» و« سهران لوحدى» و «ياظالمنى» و «هجرتك» و«رق الحبيب» و«هلت ليالى القمر» و« فاكر لما كنت جنبى» و «عودت عينى علي رؤياك» و « أنت الحب» وعشرات الأغانى الأخرى التى وضعته - بجدارة - فوق القمة وأعطته لقب فارس الأغنية الذى لا يبارى فى إقناع الوجدان العربى بالكلمة الحلوة والسمو العاطفى والمعنى الجميل.

ورحل الشاعر الكبير أحمد رامى عام ١٩٨١، لنعود - تدريجيا - إلى الأغانى الهابطة من نوع «بيقولوا مكوجى بيغنى» و «أحمد حلمى اتجوز عايدة» و« كوز المحبة اتخرم» و «كراكشندى دبح كبشه» وعليه العوض ومنه العوض!

سفاح
الأسرى المصريين

اندلق مثل «الزير» عميد الاحتياط الإسرائيلي المتقاعد «إريه بيرو» البالغ من العمر ٦٨ عاما، وهو يتباهى بتاريخه العسكرى الملطخ بالدماء ليفضح قتله لـ ٤٩ أسيراً مصرياً - لا حول لهم ولا قوة - في عدوان ١٩٥٦ عندما كان قائدا لسرية ضمن الكتيبة ٨٩ مظلات، وعلل فعلته المشينة بأنه بعد أن نزل فى الجانب الشرقى لممر «متلا» كان مضطرا للتحرك فى اتجاه رأس سدر، ولم يكن لديه جنود حراسة فاضطر مع أحد نوابه إلى تصفيتهم بإطلاق النار عليهم وهم موثوقو الأيدى ، ضاربا عرض الحائط بكل القيم الإنسانية وبنود معاملة الأسرى التى حددتها اتفاقية جنيف !

وفى البداية تصور أن ما فعله هو قمة البطولة (!!) فأسند لنفسه الدور كاملا باعتبار العنف والشراسة والدموية هى ميراث مثله الأعلى الجنرال «اريئيل شارون» وزير الدفاع الأسبق ووزير البنيه التحتية حاليا والعضو البارز فى تحالف ليكود اليمينى الذى كان يطلق علي أعضاء وحدته - من باب تمجيد السادية - لقب «الشياطين»، وكانت أوامره لهم على بياض بأن يقلبوها إلى ظلام فى أى مكان ينزلون به «صحرا إن كان أو بستان !»

ونفى العميد الجزار تلقيه أى أوامر بفعلته الرديئة من أى مسئول، متصورا أن القضية التى فجرها ستمر مرور الكرام، وأنه أصبح عريسا فى زفة ، ينثرون فوق أم رأسه ورأس السيد والده زهور الفاتحين ، وينحرون تحت أقدامه الذبائح ، ويقيمون له تماثيل ولا تماثيل النازيين الذين تغنوا فى أوج مجدهم بمعسكرات الاعتقال وأفران الغاز المعدة للإبادة الجماعية !

ولكن ما إن قوبل هذا الاعتراف المخزى بردود فعل عنيفة ، من بينها أن القتلى لم يكونوا جنودا بل عمالا يرتدون الجلابيب ويشقون الطرق ، حتى أسرع العميد المتقاعد إلى لحس كلامه، مؤكدا أنه «عيل» والعيال لا يصح أن يكونوا «كبش

فداء» أو يتحملوا المسئولية وحدهم ، فقادته مسئولون معه فى إصدارالأوامر بتنفيذ المذبحة ، ولو حاولوا توريطه فسيفتح عليهم نار جهنم الحمراء !

ونتيجة لردود الأفعال الغاضبة على اعتراف الجزار «بيرو» والزج بقائده «رافائيل إيتان» زعيم حزب «تسوميت» اليمينى المتشدد المعارض، قام الباحث الإسرائيلى «إرييه اسحقى» فورا بكشف تفاصيل ست مذابح أخرى فى حرب ١٩٦٧ لآلف من الأسرى المصريين حفروا قبورهم بأيديهم ، وضرب بذلك كرسى فى «كلوب» المسئولين فى الحكومة بما فيهم اسحق رابين رئيس الوزراء وقتها، وبن اليعازر وزير الإسكان فى ذلك الوقت، بل وحتى رئيس الدولة عايزرا وايزمان عندئذ .

ما يعنينا فى الخناقة المحلية الإسرائيلية التى وصلت إلى حد تقطيع «الهدوم»، هو أنها تتعلق بمواطنين مصريين وقعوا بين أنياب ضباع إسرائيلية لا ترحم ، فلم يقتنعوا بتعذيب الأسرى وربطهم بالحبال وضربهم بكعوب البنادق وركلهم بالأحذية العسكرية ، بل أعدموهم بالجملة وبدون سؤال واحد فى لحظات أعطوا فيها الضمير الإنسانى أجازة ، فهل نصر على اتخاذ الإجراءات القانونية بناء على الاعترافات الإسرائيلية الصريحة ونطالب بمحاكمة مجرمى الحرب المسئولين عن هذه المذابح ، وبالتعويضات المناسبة لأسرهم ، أم نتحمل الوزر أمام قاضى التاريخ عندما يرجمنا بالحجارة لو تساهلنا فى رد شرف دم أهلنا الشهداء المظلومين ؟!

الأديب
الأدباتى المنسى

نسينا أن نحتفل بمولد الثائر العظيم عبد الله النديم، ومضت المناسبة «سكيتى» وبدون حس ولا خبر ، وبرغم ذلك لم نحتفل - ايضا - بالذكرى المئوية لرحيله خاصة أن الكثيرين من أبناء هذا الجيل لا يعرفون الفرق بين خطيب الثورة العرابية وبين «الخطيب» لاعب الأهلى الشهير بـ «بيبو» المعتزل !

لم يولد عبد الله النديم وفى فمه ملعقة من ذهب، لأنه أطل على الحياة فى حارة ضيقة بحى الجمرك بالأسكندرية ، وكان أبوه الخباز يرعب قلب الصغير بحكايات عن حاكم مصر عباس باشا الأول الذى يقتنى وحوشا ضارية داخل اقفاص فى الصحراء يرسل إليها معارضية فى بعثات لا تعود بالمرة، وأن الله أنقذ البلاد من قسوته وميله للعنف عندما التف الخدم حول سريره وخنقوه فى منتصف الليل !

عبد الله النديم - أو الأديب الأدباتى - خالط فى بداية حياته الملوك والوزراء والثوار والصعاليك والمهرجين وعرف على يد جمال الدين الأفغانى أهمية أن تكون الكلمة مثل السعوط «النشوق» تقضى على السموم والبلاوى المخزونة ، ودخل مساجلات حامية مع «الأدباتية» أضحكت طوب الأرض وأخذته من الحضيض إلى قصور الناس «اللى فوق» الذين قرروا أن ينعموا بظرفه ويستأنسوا بقفشاته وكلماته التى تنخر فى عظام من يفهم ، ولكنه سرعان ما نبذ حياته مع المرفهين وفضل أن ينزل مرة أخرى إلى الفقراء ، ليعبر عن الامهم بأسلوب فكاهى لاذع يوقظ النائمين فى العسل ، فأصدر مجلة ساخرة أسماها «التنكيت والتبكيت» ارتفع معها شأنه وذاعت شهرته بين الناس .

كان النديم فى تلك المجلة فارسا يصول ويجول وينقض على كل المشاكل التى خربت نفوسنا ، فهو مثلا يسخر من بلاهتنا التى جعلت المحتالين يأكلون العيش الفينو فى بلادنا ، ويحرضنا على معرفة العلوم والصناعات واقتباسها من الأمم

التى أخذت بأدوات الحضارة، ولكن تقول لمين، الناس عندنا «ودن من طين وودن من عجين» ، فلنظل على حالنا المايل مادام «الكيف» متوفرا ومجالس الأنس والضحك واللعب أهم من العلم والتجارة والتواريخ !

ولكن مجلته الجريئة تغلق أبوابها فور قيام الثورة العرابية ، فقد هجرها وجاء إلى القاهرة ليلتقى بزعماء الثورة ويصبح خطيبها الأول ومقاتلها الفدائى فى مجلته الجديدة «الطائف» التى يدافع من خلالها عن الدستور وإعادة الحياة النيابية ويطالب بإنهاء جرائم الخديو والنفوذ الأجنبى والسخرة المهينة !

ولم يسكته إلا مدافع الأسطول الإنجليزى التى بدأ معها احتلال مصر وهزيمة عرابى فى التل الكبير ، ليبدأ رحلة الضياع حيث ظل متخفيا فى القرى والنجوع تسع سنوات مستخدما كل الحيل للبعد عن مطاردات رجال الحكومة وقوات الاحتلال التى رصدت للقبض عليه مكافأة ضخمة، ثم جاء العفو عنه ضمن العفو عن رجال الثورة العرابية ولكن بشرط أن يغادر الوطن إلى يافا الفلسطينية وعـــاد منها وأصدر مجلة «الأستاذ» التى أغلقها الإنجليز بتهمة إثارة مشاعر الوطنيين، ولينفوه إلى يافا مرة أخرى ، ثم يذهب بعد ذلك إلى استنبول بدعوة من الخليفة العثمانى الذى حدد إقامته بمجرد وصوله، وليظل فى محنته إلى أن يموت بداء السل، وكلماته كالمطارق تدق رءوسنا لنستيقظ ونفيق من حقنة البنج التى خدرت عقولنا !

رحم الله الثائر العظيم عبدالله النديم ، وألهمنا الله التذكرة للاحتفال برحيله وذكرى مولده!

من ينقذ الشمبانزى الفضائى ؟

الشمبانزى الأمريكى «هام» الذى ودع الحياة بطلا قوميا، يعود مع ١٥٠ حيوانا من نسله ونسل أشقائه إلى الضوء مرة أخرى!

إذا كنتم لا تتذكرون هذا الشمبانزى، فهو أول شمبانزى طاف حول الأرض على متن الكبسولة «ميركورى» في عام ١٩٦١، ووقتها أعتبروه بطلا يفوق سوبرمان وفلاش جوردن، ولهذا دفنوه عندما مات فى مقبرة أبطال الفضاء العالميين بولاية «نيومكسيكو» الأمريكية!

هذا الشمبانزى الراحل وبقية أشقائه الذين على قيد الحياة اجتمع الكونجرس الأمريكى من أجل أنصافهم ومناقشة مصيرهم بعد الخدمة الطويلة بالقوات الجوية الأمريكية أو بالتحديد إيجاد حل لامكان بقائهم علي ذمة البرامج الفضائية لوكالة «ناسا» وإلغاء القرار المفاجئ بإحالتهم إلى المعاش، لأنه قرار ظالم سيجعلهم يعودون إلي عجين الفلاحة ونوم العازب فى الميادين والحدائق العامة والطرقات!

فرقة الشمبانزى الفدائية ثائرة بعد أن اكتشفت أن آخر خدمة «الغز» علقة، وأنه لم يعد لهم «لازمة» فى نظر علماء الفضاء، بل أصبحوا يمثلون عبئا ضخما على الميزانية!

إنهم مازالوا يعيشون على ذكريات أيام العز والرفاهية، عندما كانوا يلبون طلباتهم حتى لو طلبوا لبن العصفور، فهم الذين قاموا بالتجارب الأولي لغزو الفضاء في الستينات، وبدونها كان لا يمكن أن يتوصلوا الآن إلى استخدام الإنسان الآلى فى القيام بالمهام الخطيرة في رحلة اكتشاف كوكب المشترى!

الشمبانزى الأمريكى كان يعتقد أن الدنيا دائمة، وأن الأحوال ستظل « ميت فل وعشرة» إلى أبد الآبدين ونسى من سبقوه إلى هذا المصير المؤلم مثل الكلبة «لايكا» السوفيتية ونسلها المتميز الذى أصبح الآن منتشرا فى الميدان الأحمر في

موسكو بصحبة البلطجية والمتسولين الذين يأمرونهم تحت تهديد العصا بأن يقوموا ببعض الألعاب البهلوانية الرخيصة مقابل حفنة من روبلات السياح التى قد تمنع عنهم بلاوى كثيرة !

من المقترحات البديلة المطروحة للانقاذ نقلهم إلى إحدي منظمات رعاية الحيوان، ولكن الأرقام الفلكية المطلوبة لمستوى المعيشة التي تعودوها تقف حائلا أمام تنفيذ ذلك، ولهذا فالأمر متوقف الآن علي قرار من الكونجرس، يوفر لهم دعما سنويا قيمته سبعة ملايين دولار علي الأقل، لأن أعددهم كبيرة جدا، تستهلك - فعلا - هذا المبلغ الضخم، خاصة لوعرفنا أنه مع كل شمبانزى عجوز يوجد ١٥ شمبانزى فى سن المراهقة، وأن بعض الشمبانزى من القبيلة الفضائية يصل عمره إلى ٥٥ عاماً مثل الشمبانزى «جيب» وأن وكالة البرامج الفضائية اضطرت أمام طول أنتظارهم بدون شغل أن تؤجر بعضهم إلي أحد المراكز العلمية فى عام ١٩٧٠ لاستخدامهم فى أبحاث التهاب الكبد الوبائى والأيدز!

يعنى - باختصار - بدأ العد التنازلى للشمبانزى الفضائى الدلوعة، وأصبح مثل خيل الحكومة التى يطلقون عليها النار عند الاحالة للمعاش، مادام ليس هنا صندوق اجتماعى، ولا شفقة ولا رأفة فى قلب الكبار والعلماء والأرزقية على حد سواء !

قلبى مع الشمبانزى الفضائى فى أزمته مع الإنسان قليل الأصل الذى هانت عليه التضحيات والعشرة!

شابلن العظيم

لم يكن ممثلا عاديا، بل كان أعظم فنانى القرن العشرين وعبقرى الفن السابع الذي منحنا الأمل الجميل والسخرية المريرة والحكمة العميقة، وفوق كل هذاالضحكة العريضة التى عشقناها ونحن صغارا، وضحكنالها وأحببناها بعد أن أصبحناأكثرفهمالهاونحن كبارا..

ذهب فى أوج مجده للاستجمام فى جزيرة «مايوركا» الأسبانية واتجه إلى الفندق وهو فى غاية التعب، ليستقبله الموظف المختص، ويرحب به قائلا: شارلى العظيم بنفسه هنا.. هذا شرف ما بعده شرف.. ابنتك جير الدين وصلت بالأمس، وهى فى أحد الجناحين الضخمين المطلين على الشاطئ، وسوف أضع الجناح الآخر تحت تصرفك فورا.. فقال له الفنان الكبير مقاطعا: ولكنى لم أطلب منك حجز جناح، فيكفينى غرفة فقط فاندهش الموظف ورد عليه فى استغراب: ابنتك ياسيدى نازلة فى جناح فكيف لوالدها الذى أمتع العالم فى أن ينزل فى مجرد غرفة، ورد عليه ضاحكا: هذا طبيعي جداً، فوالدها ثرى ومشهور، أما والدى أنا فكان معدما!

بتلك التلقائية البسيطة عبر الفنان شارلى شابلن عن تواضعه وقناعته ونفسه الراضية التى توصلت إلى أن الفقر – مع أنه امتهان للإنسان – إلا أنه من المستحيل على الإنسان أن «يستطعم» الثراء بلا فقر، فهو مازال يحس الحرمان الذى ذاقه وهو طفل صغير وقت أن «صاع» فى أحياء لندن الشعبية الفقيرة، وقضى فترة من حياته فى ملجأ الأيتام، وعمل فى صباه كبائع وعامل مطبعة وصانع ألعاب ونافخ زجاج وساعيالدى طبيب، ورأى عذابات أمه المغنية المجنونة، وأبيه المغنى الفاشل السكير الذى هجر أسرته مبكرا لعدم قدرته على تحمل أعباء الإنفاق، وكاد يتحطم حلمه الدائم بأن يصبح ممثلا هزليا عندما قذفه الجمهور بقشر البرتقال ودق الأرض بأقدامه احتجاجا على نكته السخيفة، وجعله يجرى

عقب العرض مباشرة إلى الشارع منكس الرأس حتى لا يضربه مدير المسرح!

شارلى شابلن – بحق – كان الفاكهة الناضجة لهذا القرن السخيف الملئ بالحروب والكوارث والصراعات والقلق والملل والمخدرات والتصفية العرقية والعطش والأوبئة والموت جوعا، فمن منا لم يزل يضحك من أعماقه وهو يرى الفنان المتألق فى أفلامه بجسمه الضئيل وهو يخوض – فى كبرياء وبسالة – صراعا دائما من أجل البقاء فى عالم عدوانى؟! ... ومن منا لم يره بالبدلة «الفراك» العتيقة الفضفاضة والقبعة السوداء العالية والحذاء الواسع والعصا والشنب الصغير الترانزستور؟!

لم يقترب شارلى شابلن من هوليود بعد هجرته إلى أمريكا إلا بعد أن عرف أسرار السينما، فتغيرت حياته تماما، وأصبح فنانا مشهورا ومرموقا وثريا وهو فى السابعة والعشرين من عمره.

وقدم لنا طوال حياته ٨٠ فيلما بالتمام والكمال، بدأها فى عام ١٩١٤ بفيلم «كسب عيش» وأنهاها فى عام ١٩٦٧ بفيلم «كونتيسة من هونج كونج».

كانت عبقريته مع ذكائه النادرين فيما يقدمه من فكر وفن وموضوعات متجددة بطلها الديكتاتور هتلر والمتشرد والصعلوك والخباز والملاكم والعامل، وبقية فئات المجتمع «الشقيانة» والمقهورة بالحكم الفاشى والنازى.

كان يضحك المتفرجين على مصائبهم سواء بحركته الإيمائية «البانتوميم» التى لا مثيل لها أو بتأثير حركته التعبيرية أو يلفت نظرهم إلى تلك الطاحونة التي تهرس العواطف وتحول الإنسان من كتلة مشاعر إلى كتلة صماء تدور مع العجلة كما فى فيلمه « الأزمنة الحديثة» التى تتحول فيها عجلات الآلة إلى وحش يلتهم كل شئ بدون رحمة أو شفقة !

الغريب أن هذا النجاح الفنى المذهل لم يكن مقرونا بسعادة متصلة فى حياته

الخاصة، فقد تزوج من فتيات صغيرات ثلاثة مرات، وكانت زيجاته فاشلة، ثم التقى بالجميلة «أونا» ابنة الروائى «يوجين أونيل» وهو فى الرابعة والخمسين من عمره وهى فى الثامنة عشرة من عمرها، وعاشت معه إلى آخر حياته التى بلغت الـ ٨٨ عاما، وقبل رحيله بيوم واحد أصر على استدعاء بابا نويل ليقدم بعض الأغانى والاسكتشات الفكاهية أمام أولاده وأحفاده، وحضر الاحتفال كتمثال على مقعد متحرك، وهو مشلول الساقين، ضعيف النظر والسمع، لا يستطيع التعبير عن نفسه إلا بما يشبه الهمس، فقد عاد إلى نفس أفلامه الأولى الصامتة التي كان يعبر فيها عن المواقف بالإشارة والغمز والحركة والبسمة !

وظلت زوجته وحبه العميق «أونا» مخلصة إلى جواره طوال تلك الأعوام، فكانت تقرأ دائما له الصحف والخطابات التى ترد إليه من كل أنحاء الدنيا، ولهذا أوصى لها بالجانب الأكبر من ثروته قبل أن يودع الحياة فى ليلة عيد الميلاد، فقد انسحب فى هدوء من هذا العالم بعد أن أعطاه البهجة والسرور والضحكة الصافية، والذكرى التى لا تنسى!

صياد الفنون

هذا الرجل كان صاحب ثقافة عالية، بل ومن أبرز الوجوه المصرية فى النصف الأول من القرن العشرين،فقد كان ثرياأباعن جد، لايميل مع رأى حزب ضد حزب آخر فى أى إجماع على صحة قضية قومية، وكان فى مقدمة الذين شاركوا فى الحركة الوطنية، ونال ثقة ناخبيه بالوصول إلى رئاسة مجلس الشيوخ.

ولم تكن شخصية محمد محمود خليل مستندة إلى تلك الجوانب فقط، ولكنه كان ذواقة للفن الرفيع، وقد داخ السبع دوخات بين عواصم العالم لاقتناص روائع مشاهير الفنانين من ورثة المقتنيات الذين أحبوا الفلوس أكثرمن الفنون .. وكان دائما يزاحم الهواة، ويدفع كل ما فى جيبه ثمن للوحة لرينوار أو جوجان أو أوديلاكروا، فهو كالصائغ المتمرس الذى يعرف قيمة المعدن الثمين من أول نظرة!

وكانت زوجته الفرنسية «إيملين» ذات الحس الفنى الرفيع والتذوق الجمالى العالى وراء تشجيعه على اقتناء تلك الروائع - ترى لو كانت زوجته - ودعونا نقولها بدون كسوف ستوتة أو عيوشة، هل كانت تضحى بحلة محشى من أجل لوحة «عشيقة نابليون الثالث» للرسام العظيم ريكاردو ؟.. وهل كانت تنسى بعد موته النص ريال الذى سيشترى به بائع الروبابيكيا تلك «التصاوير»؟!.. ربما تكون الإجابة أهون لو لم تنزع تلك الزوجة الصورة من البرواز لتلقى بها فى صفيحة الزبالة لتستغل البرواز فى تكريم صورة «المرحوم» وعليها شريط أسود حتى يشعر الجميع بأنها مستمرة فى الحزن على «بعلها» الغالى !

لم يكن محمد محمود خليل الذى افتتحنا متحفة عام ١٩٩٥ مجرد «بيه» من بتوع زمان ، بكرش ومنشة ومونوكل وساعة ذهبية بكاتينة تطل من جيب الصديرى، ولم يكن - أيضا - على شاكلتهم يدخن النرجيلة وهو مستغرق فى الاستماع إلى اسطوانات «الكوباية» للست منيرة المهدية وعبده الحامولى ونعيمة العمشة، ولم نعرف يوما أنه تحمس لصفقة «أبعدية» جديدة تدعم وجاهته ومركزه

الاجتماعى ولكنه اكتفى بالتجوال فى الدنيا كالصياد الباحث عن الكنوز الدفينة، مطلقا بالثلاثة كل المتع والملذات فى حياته فيما عدا متعة عشق الألوان والأضواء والظلال والطبيعة الصامتة والبورتريه المعبر !

وبعد أن جمع صياد الفنون كل تلك التحف النادرة من اللوحات والمقتنيات التى اشتراها بحر ماله، عاد بها إلى قصره على كورنيش النيل فى الجيزة، ليزين بها حجراته وردهاته فخورا ومعتزا بأنه استطاع أن ينقل إلى وطنه هذه الأصول من الروائع.. فماذا فعلنا بها، خاصة وأنه لم يترك أبناء ولا ورثة ؟!

لقد كزمنا تلك الثروة الفنية بأن جعلناها تستقر لسنوات فى بدروم رطب، تعبث بها الفئران والحشرات الزاحفة والقارضة، وأقمنا متحفا صوريا فى الزمالك بديلاً لقصره الذى تحول إلى قصر للحراسة فى السبعينات ، حتى أن أعظم تلك اللوحات وأشهرها عالميا وهى «زهرة الخشخاش» للفنان ڤان جوخ سرقها «لص صايع» وخرج بها فى وضح النهار مستغلا مهزلة الحراسة الممثلة فى أثنين أشبه بخفراء شوادر البطيخ !

ولهذا فإن استعادتناتلك اللوحة من الخارج وإقامة متحف دائم يحمل اسمه ومقتنياته هو خير دليل على التقدير المتأخر لهذا الرجل الذى أعطانا كل مايملك من فن جميل.. ودرس بليغ «للمريشين» فى هذا الزمن الذى لا نفرق فيه بين الرسام سيزان والمغنى حسن الأسمر !

عيب يا عمدة

عمدة كفر «السلام» استفزه ما ارتكبه زميله عمدة نيويورك فى حق الزعيم الفلسطينى ياسر عرفات عندما طرده من الحفل الموسيقى الذى اقامه على شرف الاحتفال بعيد ميلاد الأمم المتحدة، فأرسل لى تلك الرسالة الموجزة لأقوم بتوصيلها إلى «رودولف چولياني» عمدة نيويورك بأمريكا :

جناب الخواجة ..

بعد التحية والسلام .

برغم أننى عمدة أبا عن جد، فإننى بصراحة لم أسمع فى حياتى عن عمدة مثلك – والعياذ بالله – فدوار العمدة دائما مفتوح للغريب يجد فيه المأوى والطعام والحماية ، لسبب بسيط أن العمدة هو واجهة البلد وكبيرها ، والعيب عندما يرتكبه «الكبير» يتحول إلى فضيحة يدوى صداها فى كل القرى والعزب والنجوع .

ولهذا ، اسمح لى يا خواجة چولياني أن أقول لك بصراحة :

ايه الجليطة دى ؟! زعيم عربى جاء ليشارك الأمم المتحدة أفراحها فى عيدها الذهبى تقوم حضرتك تطرده ؟!.. إن كنت جاهلا لا تعرف الأصول فيجب أن أدلك على بعضها لأنها تتعارض مع ما قمت به فى هذه المناسبة عندما حددت بغطرسة من يحضر أولا يحضر الاحتفال، مع أن المهرجان لا فى منزلك ولا فى «أبعادية سعادتك» ، فالحفلة خاصة بضيوف الأمم المتحدة، وهى ملك لكل العالم بدون تفرقة .

ألم يخطر ببالك يا عمدة أنك بهذا التصرف الأحمق تدس أنفك فيما لايخصك وتنحاز بدون وجه حق إلى حبايبك «الصقور» فى إسرائيل ، وإلا فما معنى أن تخلع بدلتك الرسمية وترتدى فانلة «رامبو» ذات الياقة المقفولة وتشمر عن عضلاتك ثم تكلف خفيرا من أتباعك بأن يهمس فى أذن الزعيم العربى ليخرج فورا من الحفل ؟! ، وبعد هذه الواقعة بررت تصرفك العجيب بأن هذا الزعيم

ضيف غير مرغوب فيه، برغم أن الأمم المتحدة قامت بدعوته رسميا، وعندما انتقد المجتمع الدولي تصرفك الأحمق كشفت النقاب عن ضعف ذاكرتك المتعمد، فكيف تتهم رجلاً حصل على جائزة نوبل للسلام بأنه إرهابي ؟!، هل عندك إجابة؟!

بذمتك هذه تصرفات خواجات «متنورين» وعاملين إنهم أسياد العالم الجديد؟!

أنا بقى الفقير لله ذاكرتي أقوى من ذاكرتك ، ولهذا سأذكرك بما يحدث عندك من بلاوى الإرهاب الداخلي، فحسب معلوماتي المتواضعة عن مدينتك التي تتربع على مصطبة عمديتها يسمونها عاصمة الإرهاب والرعب في العالم ، فالجريمة ترتكب فيها عيني عينك وجهارا نهارا، ويا ويله السائح الذي يسير بمفرده فسوف يسطو البلطجية على كل ما في جيوبه ، وربما يتركونه «بلبوصا» بعد تجريده من ملابسه الداخلية، وسيتعرض لأذى وعدوان «الشمامين ومدمني البلابيع والبودرة»، بالإضافة إلى جرائم الاغتصاب التي أصبحت سهلة مثل مضغ «الشيكلتس» والتهام «الهوت دوج» ، فمحاضر الشرطة في مدينتك تسجل - بكل فخر - أعلى رقم قياسي في العالم في جرائم القتل وهتك العرض وتعاطي الماريجوانا واغتصاب الأطفال !

ختاما أدعوك - وأمري لله - أن تزور دوارنا لتتعلم فيه أصول العمودية وعلى رأسها كرم الضيافة ، فنحن أحفاد الفارس العظيم حاتم الطائي الذي لم يجد لضيفه طعاما في بيته فذبح له أعز ما يملك وهو حصانه الكريم الأصل والمنبت.

عيب يا عمدة .. لقد أسأت إلى أهل بلدك الكرام الذين انتقدوك على هذا الفعل الفاضح وأهنت المهنة ، وشوهت صورة بلدك بوجهك القبيح كمتعصب ، فاتجه إلى الله إذا أردت التوبة، واغسل قلبك من الأحقاد والنوايا الانتخابية الخبيثة، لعله يغفر لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر ، بما فيه هذا الذنب العظيم !

العمدة

عبد الجواد شرف الدين - كفر السلام - شرق أوسط

القاتل

برغم أن القاتل «ايجال عامير» البالغ من العمر ٢٧ عاما يدرس الحقوق ، وبالقطع يعرف حدود القانون والمباح وغير المباح فإنه لم يتورع فى الإقدام على اغتيال رئيس الوزراء ، الإسرائيلى «أسحق رابين» وسط مائة ألف من أنصار السلام .

لم يكن مستغربا أن تنطلق رصاصات الإرهابى اليهودى الشاب ابن الحاخام ومدرسة التمريض، لأن الحكاية ليست حكاية جريمة قتل عارضة !

والقاتل ليس مجنونا أو مخبولا مثل الشاب الذى حاول اغتيال الرئيس الأمريكى السابق، «رونالد ريجان» فهو بكامل قواه العقلية، ورتب لجريمته مع سبق الإصرار والترصد، مع اعترافه بأن ما ارتكبته يداه عمل شجاع يستحق الشكر والتقدير من كل إسرائيلى ، بل وقال فى تحد سافر إنه ينفذ أوامر الرب !

إذن ما هى الحكاية ؟

الحكاية أن هناك موجة من الإرهاب العنصرى داخل اسرائيل، زرع بذرتها المتعصب الأكبر «مائير كاهانا» الذى رضع من نفس الثدى، وهذه الموجة تتمثل فى مزارع فى الخارج لا علاقة لها بمزارع الدواجن والبيض، وإنما مهمتها العظمى تتلخص فى تجهيز الصبية «المهووسين» عنصريا ، ليتم تدريبهم على السلاح بعد غسل عقولهم حتى تبقى فيها فكرة خبيثة سوداء وهى أن الأرض لا تتسع للفلسطينيين واليهود معا، وأن أى فلسطينى يعيش على أرض اسرائيل الكبرى يلوث أرضها، ولذلك علينا أن نحرمه من متعة الامتلاك الكامل للأرض والهواء والسماء!

وفى المقابل ظهر اتجاه قوى بين بعض أبناء الجيل الذى ولد وعاش داخل إسرائيل وأصبح متعاطفا مع أفكار هؤلاء الوافدين، بل إنه أصبح أكثر تشددا وتطرفا منهم، وكان «عامير» هو التجسيد الحى لهذا الاتجاه .

وهكذا استطاع خريجو هذه المزارع أن يجدوا فرصة كبرى من خلال المستوطنين المدججين بالسلاح والشباب المتطرف لنشر الإرهاب على أوسع

نطاق، خاصة بعد أن أعطاهم قرار تسليح المستوطنين فرصة كبرى لأن يضع كل منهم – على الأقل – مسدسا سريع الطلقات حول وسطه حتى إن بعضهم خلع فانلته أمام كاميرات «سي.إن . إن» ليزهو أمام العالم كله أنه جاهز للقضاء على أى عربى لو حاول أن «يكح» معه ، فقد تحولوا إلى محترفى بلطجة وفتوات !

الخطير أن هذا الجيل من الشباب الإسرائيلى لم يقرأ ألف باء القضية، ويظن أن الأرض التى يعيش عليها أرضه وحده ولا شريك له فيها ، وأنه توارثها أبا عن جد، وأن الفلسطينيين هم الذين اغتصبوها، ويحاولون الآن أن يقيموا وطنا قوميا لهم !

وتحت الحاح مثل تلك الدعاوى الكاذبة تشكلت الجمعيات السرية التى تؤجج نار تعصبها حاخامات الدين لابسوا القبعات السوداء من أصحاب الذقون الطويلة، والأحزاب والحركات المتطرفة التي تحمل فى داخلها نزعة عنصرية مقيتة ورفضا كاملا لفكرة الأرض مقابل السلام !

هذا المناخ الأسود الذى يمثل ذروة التعصب والكراهية لفكرة السلام التى بدأت تسود العالم ، كان يجب أن تنجب مثل هذا الارهابى «ايجال عامير» وغيره ممن حرضوه ومن ينتظرون القيام بمهمات أخرى، فالحكاية ليست مفاجأة لأن هناك من ساندوه وشجعوه، بل وجهزوه ليصبح فرانكشتين الذى يدمر ويقتل وهو مقتنع وفخور بما فعله !

ولعل فى كلمات ليا رابين زوجة رئيس الوزراء خير تعبير عن الموقف كله، عندما قالت لمندوبة إذاعة بى. بى سى إننى أحس الآن بأننى أقرب الى العرب أكثر من قربى لهؤلاء القتلة الذين اغتالوا زوجى بدون ذنب إلا سعيه الى السلام، فبهذه الكلمات ترجمت – هذه السيدة الغارقة فى الحزن – مشاعرها بضيق نحو هؤلاء القتله المتعصبين «المهووسين» أعداء السلام الذين يريدون اغلاق الأبواب والنوافذ أمام أية مفاوضات فى الأرض العربية .

البرلمانى الضاحك

كان فكرى أباظة أصغر برلمانى فى مجلس النواب، وكان من ألمع النجوم وأظرفهم، ولم يتعرض للبهدلة وقلة القيمة أثناء تمثيله البرلمانى لدائرته (١٩٢٦ - ١٩٥٠) إلا عندما حملوه بدون رحمة، وألقوا به خارج القاعة لهجومه الشديد على الحزب السعدى !

كان يتصور فى البداية أن الزعيم سعد زغلول هو سبب كل مصائبه، بل وفشله فى الوصول إلى البرلمان ، لأن بعض مرشحى الوفد يتاجرون باسمه ، ويكسبون الأصوات من حساب رصيده الوطنى، وبذلك يعرقلون الشباب من أمثاله ويعطلونهم عن القيام بدورهم لتمثيل الأمة والدفاع - لوجه الله - عن مصالحها، وأدى هجومه العنيف إلى أن استدعاه رئيس المجلس سعد زغلول ليسأله : لماذا كل هذا الهجوم يا حضرة المحامى المحترم ؟ ورد عليه فكرى أباظة بلباقته المعروفة التي جعلت الزعيم يغرق فى الضحك : أنا نائب صغير يا باشا، وأنت زعيم كبير، بذمتك الناس هتعرفنى إزاى إن لم أشتم الزعيم العملاق ؟!

ويروى النائب فكرى أباظة تجربته مع الانتخابات لأول مرة، وكيف أن تصريح ٢٨ فبراير سنة ١٩٢٢ تمخض عن الدستور والبرلمان، فرقصت بعض الأحزاب وأطلقت الزغاريد وأقامت الزينات، وكشرت بعض الأحزاب الأخرى عن أنيابها ولبست السواد وهددت بعظائم الأمور لأن هذا التصريح - فى رأيها - نكبة، ولكن ما إن بدأت الانتخابات حتى اندفعت نحوها الأحزاب الضاحكة والأحزاب الباكية لأن النيابة عن الأمة شرف ما بعده شرف، ثم فيها أيضا مرتب و«أبونيه» وحصانه ونفوذ وجاه ومطامع وآمال، وأصبحت الباشوية والباكوية موضة قديمة، أما النيابة عن الأمة فكلها فخفخة ونفخة وحب للظهور !

وهكذا اقتحم فكرى أباظة مرشح الحزب الوطنى دائرة منيا القمح بالشرقية وسنه أقل من السن القانونية بسنتين ، واستغل فرصة أنه من ساقطى القيد،

واجتاز تلك العقبة ، ودخل المعركة معتمدا على الخطب والبيانات ، بينما خصمه المعروف الثرى يستعين بالخراف والعجول والديوك والفراخ والحمام والطعام والشراب لإقناع الناخبين ، وزحف موكبه الصغير إلى القرى والكفور والعزب، فكان يشرب في اليوم أكثر من سبعين فنجانا من القهوة ويأكل أكثر من عشرة أرطال من العجوة حتى لا يعتبره الناخبون متعجرفا وجاهلا بالأصول، إلا أن هزيمته المنكرة أمام خصمه المحاط بأقطاب الوفد وخطبائه، جعلته يثور على نفسه ويندم على الخمسمائة جنيه – هى كل ثروته – التى بددها متصورا أن علمه وشهادته وحظه الصحفى السعيد أهم أسلحته للفوز بمقعد فى البرلمان !

ومن نوادره الظريفة فى الانتخابات أنه فى أحد الليالى تربص لسيارته عدد كبير من أنصار خصمه المسلحين بالنبابيت والشوم والفؤوس ليعتدوا عليه، فطلب من مرافقيه أن يخدعوا المتربصين بالهتاف بحياة خصمه، وجازت الحيلة على المتربصين، وظنوا أن الموكب موكب صاحبهم فساهموا فى الهتاف له ومر ركبه بسلام، ولكن جاء من خلفه ركب خصمه فظن الأنصار أنه ركب خصمهم فانهالوا بالضرب الموجع على كل أفراد الموكب الذى انتهى بنقل معظمهم إلى المستشفيات!

وفى برلمان ١٩٢٦ استطاع بطلوع الروح أن يفوز على خصمه الذى استخدم ضده البنادق والرصاص والمتروليوزات وقطاع الطرق والحشيش والأفيون، وهرب إلى القاهرة انتظارا للنتيجة فى قهوة «الأنجلو» حتى أبلغوه تليفونيا فى وقت متأخر بفوزه بفارق ضئيل على خصمه، لا يتعدى ٧٢ صوتا، وكانت الممثلة القديرة زينب صدقى ضمن شلته فى المقهى، فحبكت معها النكته فقالت : «٧٢» صوت بس .. كنت قول لى وأنا «أرقعهم لك» !.

رحم الله فكرى أباظة الذى لم يصل إلى البرلمان بالذراع أو بالرشوة أو بإطلاق الشائعات أو تبادل الإتهامات الظالمة، ولكنه جلس تحت القبة مسلحا بالخلق القويم واللسان الحلو والوطنية الخالصة والنكتة التى لا تؤذى .

عاشق
الزمن الجميل

كان لقائى الأول بالعاشق والسياسى والصحفى والشاعر كامل الشناوى فى مستهل حياتى الصحفية .. كنت أبحث عنده عن إنصاف للشاعر بيرم التونسى الذي كان فى ذلك الوقت نسيا منسيا، وشجعنى على الذهاب إليه صداقته لبيرم التى دفعته لمناشدة المسئولين – وقتئذ – بالعفو عنه عندما نشر زجله المشهور «غلبت أقطع تذاكر» فى الصفحة الأولى بجريدة «الأهرام» وهى القصيدة التى يشكو فيها لطوب الأرض غربته القاسية ، ويروى قصة نزوله إلى ميناء بورسعيد متخفيا ليقبل أرضها وهو يقول :

أقول لكم بالصراحـــــة   اللى فى بلادنا قليلـــة

عشرين سنة فى السياحة   بشوف مناظر جميلـــة

ما شفت يا قلبى راحـــة   فى دى السنين الطويلة

إلا ما شـفت البراقــــع   واللبدة والجلبيـــــة

كنت خائفا وأنا فى طريقى إلى عملاق الصحافة الأزهرى الذى خلع الجبة والقفطان ، وارتدى البدلة الأفرنجيه ليبدأ رحلته الصحفية فى صحيفة «كوكب الشرق» كمصحح سرعان ما قفز فوق كل الحواجز وأصبح كاتبا متميزا بأسلوبه الجميل وشعره الرقيق وأفكاره البسيطة التى تجعلك تصادقه من أول سطر فى كتاباته وتشعر أنك أمام فنان متعدد المواهب ، يكره الموت ، ويحب الجمال ، ويأكل ويشرب ويسهر لأنه يعرف حكاية الحياة وما فيها ، ولهذا ينبهنا بصوت عال قائلا :

علام تفــــــرح بالحــــياة   وأنت من صرعى الحياة ؟!

أوليـــس آخـــر مـــنــــا   سنسمع عنك أصوات النعاة

واستقبلنى عملاق الصحافة بكل أدب وظرف وترحاب، كأنه يعرفنى من سنين طويلة، وشجعنى تواضعه ولباقته وحديثه الحلو وإحساسى برغبته النبيلة فى

مساعدتى بكل الوسائل، إلى أن أسأله عن رأيه فى بيرم التونسى كزجال، وفوجئت بحماسه وهو يقول : لقد ترك بيرم جبلا من الأعمال الفنية، قمة هذا الجبل أزجاله ومحاولاته المسرحية لتصوير المجتمع والناس وفلسفته البسيطة فى الحياة ، أما سفح هذا الجبل فهو أغانيه، وقد عرفت - مع الأسف - الملايين بيرم بالسفح أكثر مما عرفته بالقمة !

لم يكن كامل الشناوى مجرد صحفى بارع أو شاعر مبدع ولكنه كان مؤسسة مفعمة بكل مشاعر الحب والإنسانية والرومانسية والعلاقات الحميمة التى تجعله يحضن الدنيا بساعديه بكل عشق وغرام، متمنيا أن يواصل الليل بالنهار، مقتنعا بقول الشاعر الفارسى عمر الخيام :

فما أطال النوم عمرا   ولا قصر فى الأعمار طول السهر

كان كامل الشناوى ضحكة عريضة لا تنتهى ، وقد سمعها كل من عرفه أو قابله، فقد كان قمة فى الظرف وخفة الدم، ومقالبه ومداعباته لم ينج منها أقرب الناس إليه، ودائما كنت تجدها فى كتاباته الجديدة، فعندما تخيل مثلا حوارا بينه وبين «أبو نواس» الشاعر العباسى الماجن الخفيف الظل سأله إذا كان له أولاد، فرد عليه أبو نواس : الحقيقة أننى لم أنجب أبناء، فعاد يسأله : وابنتاك لباب وبرة، هل هما أيضا من بنات أفكارك؟، فقال : هل تريد أن أفجعك مرة أخرى؟

فقال له : افجعنى، فما كان من أبى نواس إلا أن فاجأه بقوله :

- صدقنى إذا قلت لك إننى لم أسلك طريقا يؤدى إلى إنجاب أولاد، فقال له : تعنى أنك لم تسلك طريق الحلال ؟! فرد عليه : ولا طريق الحرام !

هكذا كان الشاعر المبدع كامل الشناوى ساخرا أحيانا ، ورصينا فى المواقف الجادة، وشعلة من الوطنية الملتهبة ، فمن منا لم يسمع ما شدا به عبد الوهاب «أنا يا مصر فتاك.. بدمى أحمى حماك » هذا النشيد الذى ردده الفدائيون على

خط القناة بعد إلغاء معاهدة ١٩٣٦ فى ١٨ اكتوبر عام ١٩٥١، ومن منا لم يستمع إلي مشاركته بأقوى الكلمات فى الأحداث الوطنية .

إن سجله الحافل بحب مصر وضحكاته المجلجلة فى مجالس الأصدقاء والأحباب تجعلنا نسترجع عطر أيامه الجميلة وتتذكر دائما يوم رحيله .

العقاد وهند رستم

العقاد ومى زيادة

كانت أمنية الكاتب الكبير عباس محمود العقاد أن يرى الممثلة هند رستم بطلة لروايته الشهيرة «سارة» وقال لها أمامى : أنت لست ملكة الإغراء ولكنك ملكة التعبير، لأن الإغراء عملية حسية، عملية رخيصة، لكن التعبير عملية عقلية تخاطب العقل، والوجه المعبر فى رأيى أهم من الوجه الجميل، ولهذا فأنت أقرب إنسانة إلى سارة، ولذا فأنا أرشحك لتمثيل هذا الدور، إنك سارة نفسها، بكل مافيها من ذكاء الأنثى وطبيعتها ورغبتها فى أن تستجيب، والفارق الوحيد بينكما هو أن الناحية العصبية عندك طاغية، وهى على عكسك، لدرجة أنك لو أقفلت شفتيك بدون كلام لمدة خمس دقائق لارتعشتا على الفور !

ووقتها سألته هند: وهل كانت سارة على قدر كبير من الأنوثة؟

فقال لها : إنها أنثى مائة فى المائة، وهى مليئة بالإحساس العاطفى والجسدى، وسارة فى تجربتها معى كانت تأخذ صف الرجل فى كل المواقف، فكنت إذا حدثتها عن خناقة بين زوجين كان شعورها فوراً يذهب مع الرجل.

ووقتها أسرعت هند لتؤكد حقيقة المقارنة فقالت له: عندك حق، فأنا دائما أؤيد الرجل، وأحس أنه كل شئ فى حياة المرأة، وبدونه تكون الحياة بالنسبة للست عبارة عن صحراء، لأنه هو الذى يحميها، وهو اللى بتحمل اسمه، وهو الذى تفتخر به..

وأضاف لها العقاد: وهو الذى تضيف وجودها لوجوده.!

وهناتساءلت هند: لكن من كلامى مع الأستاذ العقاد واضح إنه يحب المرأة قوى؟

وانفجر العقاد فى ضحكة من أعماقه وهو يقول: قوى جدا، ثم عاد بظهره إلى الوراء على الكنبة التى كان يجلس عليها، ووضع ساقا فوق ساق وقال لها: ومن قال لك إنى عدو للمرأة؟ ، ده كلام فارغ، أنا أحب المرأة الطبيعية، وهى امرأة

كأم، أو زوجة، أو عاشقة لكن المرأة التى هى نسخة أخرى من الرجل لا أحبها!

– يعنى حضرتك بتؤمن بحب المرأة؟

= أؤمن بالحب والإرادة، وأنا فى الواقع ضعيف مع العاطفة!

– إلى أى درجة؟

= إلى درجة أننى عندما أحببت سمراء كنت لا أستطيع أن أنام أو أصحو إلا على صورتها التى علقتها أمام سريرى!

وقام العقاد من مكانه ، وقادنا إلى مكان الصورة وهو يقول: وعندما أردت أن أنساها لجأت إلى الفن، فرسم لى الفنان صلاح طاهر لوحة لتورتة عليها «صرصار» وإلى جوارها كوب من العسل يتساقط فيه الذباب، ووضعت هذه اللوحة المنفرة بدلا من صورتها ، وها هى فى نفس المكان، حتى تجعلنى أنفر من ذكراها!

واستغربت هند رستم من أغرب طريقة للنسيان، وقالت للعقاد: أنت قلت الإرادة وبهذه الطريقة انت تهرب من الحب، وقال لها بعد أن عدنا إلى نفس لمكان الذى بدأ فيه الحديث: أنا أريد أن أقول الإرادة الواحدة للعاطفة لا تكفى!

– يعنى الحب والعاطفة فى رأيك أقوى من الإرادة؟

= شوفى ، أمام العواطف أنا ألجأ دائما لحاجتين هما الفن، والعقيدة الدينية، لأن الإرادة فى مثل تلك المواقف لا تكفى!

وخرجت هند رستم وقتها بعد مقابلة العقاد وهى مقتنعة تماما بضرورة القيام بدور سارة فى السينما، ورحل العقاد ولا أدرى لماذا اختفى حماسها لفكرة الرواية، برغم أنها لا تستطيع اليوم أن تؤدى نفس الدور ، كما أنها اعتزلت الفن دون أن تضيف لرصيدها شخصية سارة أو تحقق للكاتب الكبير أمنية لم تخرج إلى النور؟!

لماذا نسينا الفارس صلاح عبد الصبور ؟ !

فاتنا أن نحتفل احتفالا لائقا بمولده فى ٣ مايو ١٩٣١، ولهذا أتمنى ألا نكون نائمين فى العسل أثناء ذكرى رحيله فى ١٤ أغسطس ١٩٨٠؟!

فمنذ رحيل فارس الشعر الحديث صلاح عبد الصبور، لا تزال آثار جواده وصليل سيفه باقية فى ساحة ميدان الشعر، وإلا فلتخبرونى من هو الفارس الذى حل مكانه فى زمن ضاعت فيه المعانى الجميلة والجمل الرشيقة، وازدحم "بالطنطنة" والرغى وهوجة «الردح» والبكاء على «الخرابات» والأمجاد الكاذبة؟!

عرفت فارس الكلمة المنظومة صلاح عبد الصبور فى أواخر حياته.. كان منهمكا فى إعداد كتابه «على مشارف الخمسين» وكان كتلة من الحيوية والنشاط والرغبة فى التفرغ لإضافة مسرحيات شعرية جديدة بعد انقطاع دام لأكثر من عشر سنوات.. وكان وقتها مفتونا ببعض الأعمال الخشبية التى يزين بها منزله، والتى خرج بها خلال عمله كملحق ثقافى فى الهند، واستطعت خلال تعاملى معه أن أدرك مدى شفافيته وبساطته وصدقه فى التعامل مع الناس، ولعل هذا يعود إلى انتمائه إلى ريف الشرقية بجذورها الأصيلة، وبدويتها التلقائية!

ولم تكن صداقتى معه من فراغ، فقبل لقائى به كنت مفتونا بكل مسرحياته: مأساة الحلاج، مسافر ليل، ليلى والمجنون، الأميرة تنتظر، بعد أن يموت الملك، بل وكنت أقول له دائما: لقد أقنعتنا بقيم الحق والخير والجمال فى كل مسرحياتك بدون استثناء، وكان يقول لى: لقد عالجت فيها الحياة بخيرها وشرها، وكنت أركز فيها على الصدق والحرية والعدالة كأعظم الفضائل، وأجعل الناس ينفرون من الكذب والطغيان والظلم وتبلد الحس، فهى قمة الرذائل، بل والسبب فى انهيار العالم!

صلاح عبد الصبور واحد من الشعراء الذين أعطونا فنا جميلا بدون حساب، ولهذا عاشت كلماته فى وجداننا لجسارته اللغوية، وأسلوبه المتميز، ومعانيه المتولدة فى أقل الكلمات، وبراعته فى تصوير الحالة الإنسانية التى يعانيها - هو شخصيا - ويعانيها أيضا جمهوره!

يختلف شعراء اليوم عن صلاح عبد الصبور فى أنهم يقيمون الدنيا ويقعدونها برغم أنهم يحرثون الهواء ويجدفون فى المياه الراكدة ويحبون «الهُبر» وصوانى الفتة بالأرز، بينما كان فارسنا لا يستطعم إلا ثقافات العالم، فيحولها إلى عصارة متمازجة، من نسيج يحمل تيارات وثقافات قديمة وجديدة، عربية وغربية، ليملأ آذاننا بالوعى والمعرفة وأحلام المستقبل!

فهو يدق بشدة على موروثاتنا الخاطئة بقوله:

الأجهر صوتا والأطول... يمضى فى الصف الأول

ذو الصوت الخافت والمتوانى... يمضى فى الصف الثانى

ومرة أخرى يحذرنا بقوله:

الويل لمن يوقظ هذا الطير النائم

سيكسر باب الزمن الموصود، ويحطم أقفاله

حتى تخرج من سرداب الماضى.. قطع الظلمات المختالة

ستحل سنون متتابعة جدباء

يصبح فيها القمح قشورا.. لابذرة فيها

وسيتخثر لبن الأم بثدييها المصوصين

وما أروعه عندما يقول:

هل تبغى أن يضع المسلم

فى عنق المسلم سيف الحقد؟

فيرد الحلاج: لا.. يا سيد

بل أبغى لو مد المسلم للمسلم كف الرحمة والود!!

أنه الشاعر صلاح عبد الصبور الذى لو ولد فى بلد آخر، لنال شهرة لا تقل عن شهرة الشاعر الإنجليزى ت .س . إليوت، وشاعر اليونان كازانتزاكس، والشاعر الأسبانى لوركا، وغيرهم.. ولأقاموا له المتاحف والمهرجانات فى كل مكان.

حرامى الانتيكة !
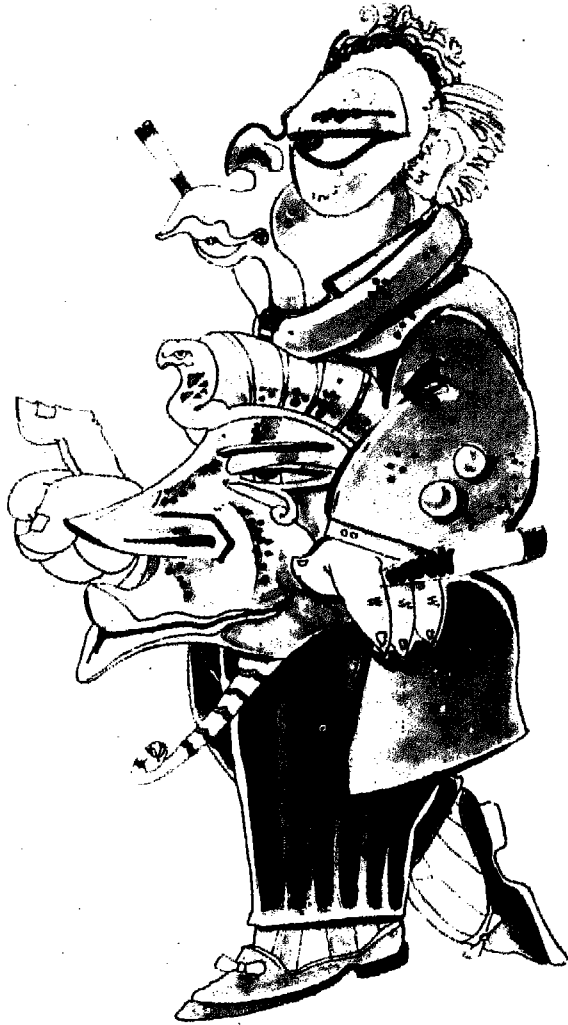
حرامى تخلى عن ضميره وأصله وجنسيته وأهله وتاريخه وباع تراث أجداده برخص التراب !

فتح أبواب المخازن على مصراعيها أمام مافيا «الخواجات» لنهب الكنوز الأثرية وتسريبها فى حقائب بدون تفتيش من بوابات المطارات والموانىء بالتواطؤ مع الغافلين من الذين يعملون لحساب هذه العصابات الدولية التى لها صلات بأصحاب «بوتيكات» التحف والأنتيكات فى عواصم أوروبا !

حرامى الآثار قلبه جامد وجلده ميت، فهو يقتحم الموقع فى عز النهار، ويبدو أنه خبير فى التنويم المغناطيسى، فهو قادر على تنويم الخفر والحراس والمفتشين وبقية المسئولين الأثريين الأبرياء (!!!) الذين ليس لهم فى «الطور ولا فى الطحين» ولا يعرفون الفرق بين إخناتون وأحمد عدوية، لأن أصولهم تعود إلى قبائل الهكسوس والتتار وزعبلة المصرى هجّام الشقق المفروشة !

فضيحة السرقة الأخيرة تؤكد أن مثل هذا اللص وإخوانه الشياطين أخذوا راحتهم على الآخر، ففتحوا المخازن على «البهلى»، وعبأوا كل ما يريدون فى أجولة، بل وظلوا ساعات طويلة يشربون الشاى ويدخنون المعسل وهم ينشرون اللوحات الجدارية، ويصنفون المسروقات طبقا لعصورها وأشخاصها سواء كانوا ملوكا أو أمراء أو رؤساء عمال أو «صيع» من الرعاع، بينما المسئولون عن تلك المواقع يحلمون بالثروة والمال الوفير وهم غارقون فى النوم والشخير عن عمد بدون غطاء على مؤخراتهم، انتظارا «لهبشة» الدولارات والين والاسترلينى والمارك التى ستأتيهم بشيك قابل الدفع من وسطاء الحرامى الكبير !

أغرب ما فى الحكاية أن الأجانب الذين تخصصوا زمان فى سرقة الآثار، وضحكوا على الخديو سعيد وأخذوا المسلات والتماثيل الفخمة والحلى الذهبية فى مراكبهم إلى أوروبا، أصبحوا الآن يشفقون على الخيبة القوية التى تعيشها آثارنا

فى هذه الأيام ، فيقومون بعمل المخبرين والعسس لإبلاغنا بالمسروقات ومكانها، فقد اتصلوا أخيراً لتسليمنا «مئات» القطع الأثرية المسروقة فور انتهاء المحاكمات في لندن وباريس، في نفس الوقت الذى استعاد فيه حرامى ضميره فتطوع بإرسال خطاب إلى رئيس الهيئة المصرية يطلب فيه «حَلّوان» ١٥٠ ألف دولار لاسترداد تمثال ثمين مسروق، مؤكدا أن المبلغ لن يدخل جيبه، ولكنه سيقوم من خلاله بالرش على الحرامية لأنهم يصرون على عدم الخروج من المولد بلا حمص!

عايزين الحق ولا ابن عمه ؟!

إذا كنتم عايزين الحق، فهناك اقتراح لعلماء الآثار الوطنيين المخلصين، يتلخص فى أن نردم على آثارنا كلها ونعيد دفنها مرة أخرى فى المقابر، حتى يأتى جيل آخر غيور على تراث بلده فيعيد اكتشافها ويحرسها بنور عيونه !

تعيش يا أبو صلاح

أنوار الأستديوهات بدونك «ضلمة» والكاميرات متوقفة، والممثلون يتامى، يدورون على باب الله ما بين التليفزيون والمسارح والقنوات الفضائية «اللى على قفا من يشيل»!

مازلنا نشاهد فى التليفزيون مع أولادنا الصغار فنك الجميل، ونتذكر ذلك اليوم الذى بعت فيه أثاث بيتك ومكتبك وساعة يدك من أجل أن يستمر العمل فى فيلمك العظيم «لك يوم يا ظالم»!

عمال الأستوديو البسطاء افتقدوك منذ رحيلك، وكل الفنيين المحبين للأصالة والشموخ يرسلون لك تحياتهم العطرة رغم غيابك، وجميع الممثلين سواء كانوا نجوما كبارا أو «كومبارس» لا يعترفون إلا بمدرستك، أما جمهورك الكبير فقد اشتاق إلى عودة اسمك فاسمك يا أبو صلاح مثل حد السيف.. يعنى الجدية والإخلاص والأمانة والتفانى فى العمل وحب الآخرين والصدق والشجاعة فى إبداء الرأى والقدرة على التعبير عن المعانى النبيلة لكل البسطاء على أرض مصر بدون رياء أو لعب على الحبال «الدايبة»، فأنت لم تسجن موهبتك فى قالب واحد، فقد قدمت لنا وجبات متنوعة دسمة، بدأتها بالفيلم الرومانسى «دايما فى قلبى» ثم أخذتنا إلى الفيلم الوطنى «لا وقت للحب» والفيلم السياسى «القاهرة ٣٠» والفيلم الرمزى «البداية» والفيلم المرعب «ريا وسكينة» والفيلم الاجتماعى «الفتوة» وفى كل هذه الأفلام وغيرها كنت فيها الأستاذ، بل وتفوقت على نفسك فيها جميعا، لأنك شربت الفن منذ كنت طالبا صغيرا تعيش فى حى بولاق الشعبى الذى اعتبرته مركزا لتخليق الشخصيات الواقعية، مثل الحانوتى إسماعيل والمطيباتى حسن أبو الروس والفتوة هريدى والانتهازى محجوب عبد الدايم وسنية الخياطة وغيرهم من الشخصيات التى مازالت صورها عالقة فى أذهاننا!

وداعا يا أبو صلاح!

عوضين
ممنوع في حفل
«الباللو»

لو كان عوضين «عايش» لقدم لنا اعتراضا ساخنا يثبت فيه أحقيته من الخواجة «فرديناند ديلسبس» الذى يطالبون بعودة تمثاله إلى مدخل قناة السويس فى بور سعيد، فهو صاحب الحق الأول والبطل الحقيقى لملحمة قناة السويس التى رددها المنشدون وقتها على الربابة:

ياعزيز عينى... أنا بدى أروّح بلدى

بلدى يابلدى ... والسلطة أخذت ولدى

عوضين هو جدى وجدك الذى دفع الثمن غاليا بالسخرة مع مليون ونصف مليون فلاح أثناء حفر القناة تحت لهيب شمس يوليو الحارقة، التى راح ضحيتها مع ١٢٥ ألف عوضين!

هذا الرجل الضحية تعرض مع زملائه للقهر والجوع والعطش والمرض، وكان يساق إلى موقع العمل مربوطا فى جنازير، ويعمل والسياط تلهب ظهره، والأمراض تفتك به، وكان قوت يومه كسرة من الخبز مغموسة فى المش أو العسل الأسود الحامض، مع قليل من البصل إذا تيسر!

وزاد الطين بلة وجود مادة طينية سائلة تحتوى على حامض فسفورى حارق للجسد، ومن أجل إزالة تلك الطبقة الطينية القاتلة أحضروا مجموعة من صيادى بحيرات شمال الدلتا، نجحوا فى المحاولة التى دفعوا ثمنها حياتهم عن آخرهم!

كان الحفارون يساقون فى صفوف طويلة وهم شبه عرايا، أجسادهم ضامرة، وعيونهم زائغة، يحملون فوق ظهورهم «الغلق» والفأس ضمن عدتهم لإنجاز المشروع فى موعده!

كانت السلطات قد فرضت على كل إقليم «فردة» من الرجال والشباب الذين يختارهم شيخ البلد، ويسلمهم قهرا للمشد!

وبالمناسبة، المشد هو المكلف من قبل السلطة بتنفيذ التعليمات التى أصدرها

الوالى محمد سعيد باشا لجميع مديرى المديريات بضرورة تسخير الآلاف من أبناء كل مديرية شهريا للإسهام فى «مقطوعية» الحفر، مقابل ١٢ مليما كأجر يومى للفرد الواحد لا يصله منهم سوى ثلاثة مليمات بينما يذهب الباقى إلى جيوب الوسطاء!

بصراحة، كان الخواجة ديليسبس أكبر «حلنجى» وكل معاصريه من المؤرخين الأوروبيين أجمعوا على أنه فهلوى ويلعب بالبيضة والحجر وعنده ميول نصب، وأنه استطاع أن يسرح بوالى مصر ويبنى له من الحبة قبة ومن مياه القناة ليمونادة، كما أنه كان نموذجا واضحا للانتهازية والتدخل الأجنبى، وهذا بالإضافة إلى أنه أصبح رمزا للامتيازات الأوربية التى عانت منها مصر لفترة طويلة!

وإذا كنا قد نسينا عوضين وزملاءه وهم غارقون بسيقانهم فى الطين، وجباههم يعفرها الرمل الأصفر وعيونهم تتطلع إلى المجهول، ونسيناهم – أيضا– فى حفل «الباللو» الذى استمتع بطعام موائده ورقصه وعطوره كبار القوم، فإننا يجب ألا ننساه فى مدخل القناة، خاصة وأننا نحتفل فى هذه الأيام بذكرى استعادتنا لقناة السويس!

طلعت حرب وعصر

« البيزنس »

ألف سلام مربع ياعمى طلعت حرب على ذكرى مولدك المائة التى مرت بدون حس ولا خبر، لأننا لم نحتفل بك حتى في درب البرابرة وقلعة الكبش!

ربما لأنك لم تضارب على أموال المودعين، ولم تتاجر فى تقسيم الأراضى، ولم تستورد معلبات القطط، ولم توزع «جوايز دهب» وعربيات وشققاً على المحظوظين من «المُستهلكَين» الذين ينتظرون بفارغ الصبر «الضريبة الموحدة»، ولكنك ملأت خزائن بنك مصر بالذهب ليصل اقتصادنا لعنان السماء، ولترتفع سمعة الجنيه المصرى إلى قامة «أبو الهول» فيناطح الاسترلينى، ويضرب الدولار على عينه ويفك نفسه بخمسة دولارات ونص، ولينظر فى شفقة لبقية العملات بداية من المارك الألمانى والفرنك الفرنسى إلى الين اليابانى والفلورين الهولندى، ويقول لها: ما تشدى حيلك بقى!

مشكلتك أيها الاقتصادى البارع أنك كنت تضيق أشد الضيق بمن يسمونك «زعيم مصر الأقتصادى»، فقد كنت تخشى على نفسك وعلى من يعملون معك من الغرور، فتنهاهم عن الاسترسال فى مثل تلك المسميات التى تدخل فى باب النفاق وفن اللعب على الحبال الدايبة!

وعيبك ياخال أنك وضعت قطن بلدنا فى «نني» العين، ورفعت شعار «إلى الأمام لخير البلاد» فلم تقدم لنا معرضا لملابس الفتاة «البيرونية» تيمنا بصرب يرغسلافيا، ولم نعرف على أيامك قماش «الفسكوز» التركى، ولا الملابس البتروكيماوية القادمة لنا بالهبل من الخارج بكل عيوبها وأخطارها الصحية والنفسية!

فى عصرك كان الدكاترة دكاترة، ويعدون على الأصابع، ولم يكن قد ظهر - وقتها - هؤلاءالأفذاذ الذين أخذوا اللقب مع مرتبة الشرف الأولى فى الملوخية والحلبة والفاصوليا والعلاج بالإبر الصينية وحبة البركة وخلى بالك من زوزو،

ولهذا اكتفيت بدبلوم مدرسة الإدارة والألسن، وأقمت كل صروحك الشامخة بمحاربتك للكذابين والمنافقين وبتوع التلات ورقات، وبغضبك الشديد على أى بنى آدم يتعامل مع الاقتصاد بالفهلوة أو بإطلاق العبارات «التخينة» كالخصخصة والعمعمة وآلية السوق والدلورة والقرمطة والاستيراد بدون تحويل عملة، ولأنك لو سمعت لغة أهل المال فى التعامل على أيامنا، لفضلت أن تبقى فى الظل وتعمل بصناعة الطرابيش والطرشى والفسيخ أو تفتح فى أكثر الأحوال مقلة لب، فهم لا يتكلمون إلا بقاموس تفتيح المخ بكل مصطلحاته فى دليل «الهمبكة» كاللحلوح والبريزة والأستيك والباكو والأرنب والفيل، ولا مانع من «الحداية» التى تخطف وتجرى على طريقة توفيق عبد الحى والسعد والمرأة الحديدية!

نقول كمان ونزيد، ألف سلام مربع «لأبو الاقتصاد المصرى» طلعت حرب، الشرقاوى الأصيل المحب للصدق والإخلاص فى العمل، اللماح، الذكى ، البناء، المتواضع، المكافح، الجاد، الكاره للفرنج والمتفرنجين، والمحب لكل ما هو عربى، المناصر للآداب والفنون فهو الذى شيد إلى جوار بنك مصر وشركاته «ستوديو مصر» ودار التمثيل العربى بحديقة الأزبكية وشجع المسرحيات العربية والغنائية، وكان محبا للمثقفين، ويجالس الكتاب والشعراء، ولا ينطق إلا بلغتهم، فلا مكان للغة «البيزنس» عندما تبدأ جلسات المعرفة والنهضة والتنوير!

حفيد البنائين !

الناس معادن، منها النفيس والرخيص، والشغال والهمباك، فهو من هؤلاء الذين تأثروا بالمثل الشعبى القائل «إتعب يا شقى للنايم المتكى» ، ولهذا ارتضى لنفسه حياة كلها تعب وعرق وإنجاز منذ بداية مشواره كواحد من الذين عملوا ليل نهار فى بناء السد العالى، ثم أقام بصفة دائمة فى مدن القنال لإعادة تعميرها، واتخذ له مكتبا فى الإسماعيلية مهمته عودة الروح إلى المدن النكوبة بعداستنزافها وتدميرها!

وعندما انهمك فى دوره المخلص الدؤوب، أحس أنه حفيد للبناة العظام فى مصر الحضارة، فعمل بهمة ونشاط فى بناء ١٣ مدينة جديدة بجوف الصحراء فى مناطق رملية لايرتع فيها إلا الهوام والحشرات، وأتوقع أن يهرب الناس إلى تلك المدن من زحمة القاهرة فيالسنوات القادمة، وأن تتحول إلى قلاع صناعية شامخة!

وهل ننسى دوره الملموس عندما استفحلت أزمة الإسكان فى بداية الثمانينات واستطاع أن يخرجنا من عنق الزجاجة ببناء آلاف الشقق الاقتصادية والمتميزة فى جميع المحافظات؟!

وأليس هو صاحب فكرة إنشاء أول سوق حضارى فى مدينة العبور، بعد أن رأى أسواقنا فى حالة من التردى والتأخر والقذارة، بعد أن سيطرت عليها مافيا الغذاء والقوت الضرورى؟!

الغريب أننا نترك كل تلك الإنجازات وغيرها، ونعاتبه لأنه قام بتعمير الساحل الشمالى للأغنياء، متناسين فلسفته الخاصة فى تمليك القادرين ليبنى من الربح مساكن لمحدودى الدخل، ونتجاهل فى نفس الوقت روعة مدن هذا الشاطئ الجميل الذى أهملناه لسنوات طويلة بحجة أنه مزروع بألغام ومخلفات الحرب العالمية الثانية التى تركتها – بدون خرائط – قوات روميل الألمانى ومونتجمرى

الإنجليزى !

إنه المهندس حسب الله الكفراوى، الذى خرج من التشكيل الوزارى الجديد بمزاجه واختياره، دون أن يخبرنا بالأسباب!

ولأنه لم يكن فى موقعه كمسئول مثل حجر الطاحونة الذى يكركع بدون دقيق، فإننا نقول له بتعبيرنا البلدى البسيط «الشجرة اللى تضلل على أهلها ما يحل قطعها»!

وقد كنت شجرة مورقة، وارفة الظلال، مازالت تظللعلى الكفر يا كفراوى!

عريس المهرجان

هرم من أهرامات الفكر والثقافة والفن..

لاصلة له بهذا الجيل الذى يريد الوصول إلى القمة بأقصر الطرق وبألاعيب شيحة وبدون جهد حقيقى، وعلى جناح صاروخ .

خاض مشواره بالعرق والتعب والمعاناة ومواجهة الصغائر بقلب جامد، ولم يقل يوما إنه الوحيد فى عبقريته وبعده الطوفان!

بدأ مشوار حياته كضابط فى الحرس الجامعى بالاسكندرية، ولم يكتف بدراسة القانون فى كلية الشرطة فالتحق بكلية الآداب ليستدل على مصابيح المعرفة فى العلوم الإنسانية، ويشق طريقه إلى دنيا الأدب والفن الذى استهواه!

تنقل كضابط شرطة فى أكثر من قرية ومركز وبندر، وجمع حصيلة غزيرة من النماذج البشرية التى كانت مفتاحه إلى كل الروائع التى أمتعنا بها فى مسرحيات المحروسة وكفر البطيخ والسبنسة وكوبرى الناموس وسكة السلامة والمسامير وسهرة مع الحكومة وسيادة المحافظ على الهوا وغيرها من الأعمال التى تنتمى إلى الكوميديا الانتقادية المتميزة بخفة الظل والتعليقات الساخرة التى تلسع قفا المتسلقين والباحثين عن دور ولو بالنصب والفهلوة والشطارة وخداع الناس، فهى فى مجملها تركز على ذلك الخلل المجهول فى مجتمعنا، وتغرى النماذج السيئة لتكشف عيوب تفكيرنا السياسى والاجتماعى بدون لف أو دوران!

الكاتب الراحل سعد الدين وهبة رئيس اتحاد الفنانين العرب، ورئيس اتحاد الكتاب، ووكيل أول وزارة الثقافة، ورئيس النقابات الفنية ، ومن طليعة كتابنا المسرحيين الذين سيطروا على البناء المسرحى، وقدموا لنا فى مسرحياتهم نماذج بشرية لا يمكن أن ننساها مثل «فكرى» الصحفى المجرد من الضمير والذى هو على استعداد دائما لبيع الإنسانية وأمه فى سبيل مصلحته، و«حسين» رئيس مجلس الإدارة الراشى والمرتشى الذى يستمد كل أهميته وعنجهيته من منصبه، وأفراد عائلة محمد الشبراوى الذين هم فى حقيقتهم عاجزون ويتساوون بطريق أو بآخر مع رب أسرتهم المشلول العاجز عن الحركة والكلام والمقيد بسنين طويلة على كرسى بعجل داخل حجرة فى بير السلم، وركاب «السبنسة» الذين لا يعلمون من أين سيجئ القطار، و«على» الذى صرع الأسد واحتفظ بجلده ونزل ضيفا على مدير المديرية ليأكل ويشرب لمدة شهر مالم يذقه من قبل ولا سمعت به أذناه،

والغانية اللعوب «سوسو» التى غازلها جميع ركاب الأتوبيس الضائع وفضحتهم أمام بعضهم البعض علي المكشوف، و«جمعة» تاجر الحمير المسروقة الذى سجنوه سنة على سرقة ١٢ حمارا وثلاثة سنوات على سرقة حمار واحد، ربما لأنه حمار هام لرجل هام!

وسعد الدين وهبة هو زوج الفنانة الكبيرة سميحة أيوب - وفوق كل هذا وذاك - مؤسس الثقافة الجماهيرية، وواحد من الكتاب البارعين في سيناريو الأفلام الهامة بما فيها «الحرام» وهذا بخلاف حصوله على كثير من الجوائز والنياشين والقلائد ، وقد انتخب عضوا بمجلس الشعب خلال دورتين برلمانيتين وكان رئيسا للجنة الثقافية والسياحة والإعلام.

وتركنا ورحل عريس مهرجان القاهرة السينمائى الدولى الذى أصبح بتخطيطه وتنظيمه وتفكيره مهرجاناً عالمياً بحق وحقيق!.

الدكتور زكى نجيب محمود بين الابتسامة والتكشيرة !

إنه يفرق بين الإبتسامة والإبتسامة.. فهناك فرق بين ابتسامة الطفل التى لا تنطوى على خبث وسوء لأنها بريئة وساذجة وفيها رضا وطمأنينة، وبين الابتسامة التي تنفرج من الشفاه «لتكشر» عن أنياب الشر والغدر!

فهو يرى أن الضحك «تكشير» مكبوت محبوس، لأن الطبيعة لا تعرف الضحك والمزاح، فهى متجهمة عابسة، والسماء لا تقهقه بالضحك ولكنها تزمجر بالرعود!

إذن ابتسامة الضاحك وتكشيرة الغاضب - فى رأيه - توأم، فكما تحير أبو العلاء المعرى فى هديل الحمامة أهو بكاء أم غناء، أصبحنا محتارين فى هذا العصر أمام الإبتسامة والعبوس!

إن الضحكات الساخرة فى الأدب ليست إلا قذائف من اللفظ تلقيها على العدو كما ترميه برصاص البنادق، ولا فرق بين أن تكون ضاحكا أو غاضبا، لأن ابتسامة الساخر لطمة على الوجه أو ضربة فى الرأس، لعلها أقوى من ضربات العصا ولطمات الأيدى!

نحن نرسل الإبتسامة الساخرة لكل غريب عن مألوفنا فى اللهجة والثياب والأكل والشراب والسكن، وكذلك الفكرة المرفوضة التى لم نألفها أو نحاربها بالقذائف الضاحكة، ونندفع من أجلها لنسوى أرضنا حتى لا يكون فيها مرتفع أو منخفض، بالعبوس الساخر، أو بالعبوس المُقَنّع بالضحك!

وإذا كانت ضحكات السخرية لا نوجهها إلى الجديد وحده لأنها تصب غضبها على القديم السخيف أيضا، فإن الناس الذين يتلقون الفكاهة نوعان، منهم من إذا ضحكت منه «مات فى جلده» ومنهم من يرد الضحك بضحك أقوى حتى ينتصر على الخصم ويلقيه أرضا بالضربة القاضية!

هذه هى بعض أفكار المفكر الكبير الراحل الدكتور زكى نجيب محمود عن ابتسامة السخرية، التى يجب أن تكون أداة فى يد الأديب القادر ، يصلح بها ما فسد عند الناس من طرائق العيش والتفكير، وهى أفكار ظلت تشغل ذهنه طوال مشواره الفكرى الذى ظل يبحث فيه - بدون توقف - عن تجديد الفكر العربى، والبحث عن مخرج لغربة المثقف العربى بين أهله وناسه، حتى لا يظل متأرجحا بين التسول على مائدة فكر الغرب، أو الإنغلاق فى متحف التراث الغالى!

محفوظ « عجبى » !
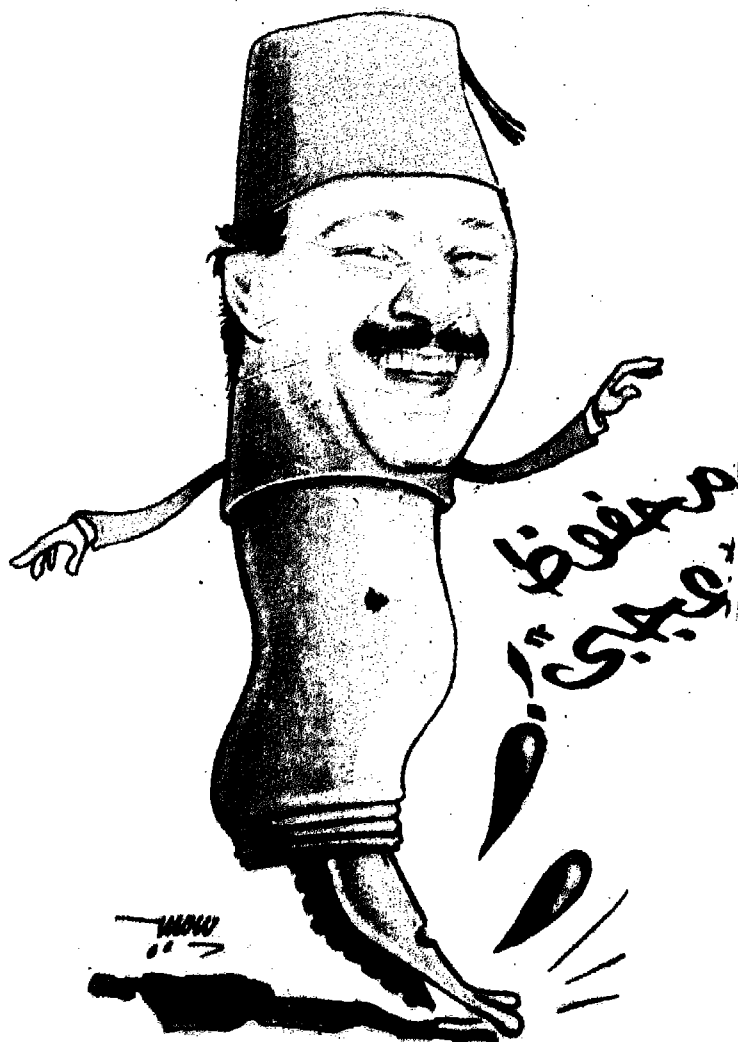
مثلما رأينا فى فيلم الرعب الشهير «دكتور جيكل ومستر هايد» كيف استطاع الدكتور جيكل فى معمله أن يتوصل إلى عقار شيطانى ما إن يتجرعه حتى يتحول إلى كائن مفزع تنبعث منه كل الطاقات الشريرة والقوى الخارقة التى تصيب الإنسان بالأذى ، جاء لنا «محفوظ عجب» عبر مسلسل «دموع صاحبة الجلالة» كائنا بشرياً مطحوناً ، هبط بالباراشوت فى شارع الصحافة وهو يحمل كل أنواع الأسلحة الفاسدة، بداية من اللعب على الحبال ومسح الجوخ والأكل أونطة والتسلق على أكتاف الآخرين ، إلى عض الأيادى التى عاونته فى أوقات الشدة والتنكر لأمة واخته الوحيدة التى أودع زوجها السجن ببلاغ كاذب !

وهكذا رأينا المحروس «محفوظ عجب» صحفياً من طراز مخيف، قادرا على تدمير العالم كله، فقد اجتمعت فيه كل خطايا البشر، فهو «مفبركاتى» ومتلون كالحرباء، ومرتشى حريف فى جيوبه شفاطات لمظاريف اللحاليح، ووكيل أعمال، وعضو نشط فى كل الأحزاب والمنظمات المعلنة والسرية، وبصاص وناضورجى على زملائه عند اللزوم لمن يستأجره، ومطيباتى لأصحاب الذهب الرنان، وداعر «حلنجى» فى علاقته بالغانية، وخطيب بليغ يدافع عن الضدين – الفقراء والأغنياء، فى وقت واحد، وهو يتيم العواطف فحتى علاقة الحب الطاهرة الوحيدة في حياته لم تسلم من الانتهازية والغدر، فعلى أكتاف ابنة السفير وصل، ثم قذف بها إلى السجن عندما أبلغ عنها البوليس السياسى !

بهذه القسوة قدم لنا الفنان القدير «فاروق الفيشاوى» شخصية محفوظ عجب، لتغوص مثل النصل الحاد فى جسد صاحبة الجلالة التى لا تستحق منا كل هذا الهوان والتشهير، فلا يمكن أن نساهم – نحن صناع الكلمة – فى تكريس فكرة أن طريق الوصول إلى القمة لابد أن يمر فوق حطام القيم والمبادىء المهدرة، ولايمكن أن يكون مثل هذا «المسخ» الذى لم نعرفه أو نسمع عنه بمثل تلك

الصورة البشعة – سواء قبل الثورة أو بعدها – إلا من وحى خيال المؤلف، فقد عرفنا أساتذة شرفاء من أمثال محمد التابعى واحسان عبد القدوس وزكى عبد القادر وأحمد قاسم جودة ومحمد عزمى وفكرى أباظة والدكتور حسين هيكل ومصطفى وعلى أمين وأحمد بهاء الدين ومحمد حسنين هيكل وتوفيق دياب وغيرهم، وكلهم كانوا عمالقه – بحق وحقيق – فى الوطنية والخلق النبيل.

ويبدو أن الحبكة الدرامية اقتضت أن يجسد المؤلف كل سقطات البشر ومكامن ضعفهم فى شخصية محفوظ «عجبى» !

زكريا الحجاوى

فنان لن يتكرر، ظل يتنفس الفن ٢٤ ساعة كل يوم طوال حياته وهو يطوف كالجواهرجى القرى والنجوع لينفض التراب عن جواهر الفن الشعبى فى مصر الحنان، التى وصف ترابها بالكحل ونيلها بالعسل والخصب، أما شعبها فهو من صلب الأرض التى علمت البشرية الزراعة والحكمة والفن وصنعت أول حضارة عرفها التاريخ.

منشد وملحن وجوال وباحث ومفجر للمواهب ومتكلم مرموق وفارس فى الشهامة ورجل فى المواقف وسمح لا يكن لأحد أى عداء حتى لهؤلاء الذين أساءوا إليه وطعنوه فجأة فى أحلك الظروف!

كان شديد الولع بالناس والحياة، بسيطا، لا يهمه أن ينام فوق سرير فى فندق خمس نجوم أو فى سرادق مولد أو فوق «دكة» على رصيف محطة سكة حديد!

كان شيخ قبيلة فى عصر الأقمار الصناعية، ولهذا عاش «جدعا» ومات فقيرا، وغريبا وحيدا!

كتب زكريا الحجاوى عدة مقالات ودراسات فى الفنون الشعبية أوصلته إلى مصلحة الفنون، وقدم على مسرح دار الأوبرا أوبريت «يا ليل يا عين» الذى أخرجه زكى طليمات، كما أن أياديه بيضاء فى إنشاء قوافل الثقافة وقصور الثقافة، وهل ننسى المستمع العربى ولهفته على تمثيلياته ومسلسلاته الإذاعية من أول «عقد اللولى» حتى «أيوب» و «ألاعيب شيحا» و «سعد اليتيم» .

وكتب حوار عشرات الأفلام السينمائية التى من أهمها سيد درويش وأدهم الشرقاوى وغيرها..

ولم يكن حظ زكريا الحجاوى فى التأليف مثل حظه فى الإرتجال، فنحن نعرفه من سرادقاته فى سيدنا الحسين وخاصة خلال شهر رمضان الكريم، ولا نعرفه من خلال كتبه : «بيجماليون» و «نهر البنفسج» و «ملك ضد شعب» و «حكاية اليهود» !.

وقد عرفت زكريا الحجاوى عندما أصبح مستشاراً بوزارة الإعلام فى قطر، عرفته عام ١٩٧٢، ولكن جثمانه عاد ملفوفاً بعلم مصر عام ١٩٧٥ ووقتها كرمته الدولة فأطلقت اسمه على مسرح السامر، وأقامت من أجله الثقافة الجماهيرية أمسية أطلقت عليها اسم «عاشق المداحين» ! .

تحية لزكريا الحجاوى فى ذكرى مولدة عام ١٩١٤، تحية لابن مدينة المطرية بمحافظة الدقهلية، تحية لهذا النهر الذى تركه لنا خلفه من موروثات شعبية لا تنضب !

أبو الشام العائد !

لو رجع أبو الشام الشهير بجورجي زيدان وعاود محاولة مجلته «الهلال» من جديد، لاحتاج إلى ألف جنيه على الأقل فوق الأربعين جنيها التى رصدها لتحقيق حلمه، حتى يسدد بها - فقط - قيمة الدمغات والدوسيهات والأوراق والشهادات المطلوبة ولزوم تفتيح المخ، ولنصحوه أولا أن ينضم إلى أى حزب، وإذا تعذر ذلك فما عليه إلا أن يتوجه إلى عمنا «الصباحى» ليجرى معه اتفاق «جنتلمان» لاستخدام الرخصة، أو يأخذها من قصيرها ويبحث عن ممول يضع باسمه مائتى ألف «لحلوح» فى بنك وطنى، أو يذهب إلى قبرص سابحا ليساوم الخواجة «كرياكو» على خطوات الإشهار!

ولو جاءته ضربة الحظ وانتهى من كل تلك التعقيدات العجيبة، واستعد للصدور بالبحث عن بضاعته فى سوق الثقافة لوجد أن سيف الملك آرثر يباع فى «حارة رابعة» موطن نفوذ خالدة الذكر المعلمة «سكسكة» رغم أنها لم تعرف فى حياتها سلاحا للمبارزة أقوى من الشبشب أبو وردة!

ولو بدأ رحلة التنقيب عن رواية فلسوف يجدها غارقة فى سابع نومة منذ حصول نجيب محفوظ على جائزة نوبل، مع استثناء بعض الاتهامات والشتائم الحيانى «على كل لون ياباتستا» التى يتبادلها المبدعون والنقاد مع سبق الإصرار والترصد!

أما الشعر فلا حس ولا خبر، بعد أن انتقل إلى مقره الأخير بقرافة المجاورين!

وياعينى على حال الفن.. لو دخل مهرجانا وحاول إبداء رأيه بين فتوات السينما فليس من المستبعد أن تصيبه «بونيه» طائشة أو شلوتا... ولو أراد أن ينقد فيلما فالوجبه أمامه دسمة، تبدأ بملوخية بالأرانب و «آى آى» و«قطع رقبة» وتنتهى بفتة بالكوارع و «لحمة راس» و «ومكرونة بالباشميل»!

وهكذا الحال فى مسرحنا الضاحك الذى أخشى أن يبكى فيه «بدل الدموع

دم» لو شاف الشقلباظات و«الإفيهات» الجارحة والألفاظ النابية والحركات البلهاء وهز الوسط على الفاضي والمليان!

وبعد كل هذا تبقى مشكلته فى مواجهة تسطيح القراء، فاغلب الناس -للأسف - غارقون حتى الذقون فى الكاسيتات الهابطة وأفلام المقاولات والمكسب السريع على طريقة اهبش واجرى.. وعليه فى مواجهة كل هذا الغم والنكد أن يغنى معنا ومع اللهلوبة «ليلى علوى» : يا مهلبية يا... !

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

عاشق الكاريكاتير!

هذا الجيل لا يعرف عن الروائي والمفكر والناقد الكبير يحيى حقى ولعه الشديد بالكاريكاتير، إلى درجة أنه كان يرى هذا الفن الجرئ قاسما مشتركا فى كل وسائل التعبير، وكان يقول لنا دائما: لو راجعنا أغلب النكت عند جميع الشعوب، فلربما وجدناها فى الأساس رسوما لفظية تعتمد على المبالغة لموقف يدعو إلى السخرية، ويرضى نزعة أصيلة فى طبع الإنسان!

كان يرى أن ألحان سيد درويش المرحة فى مسرح «كشكش بك» والتى رسم بها شخصيات كاريكاتورية لكل طوائف الشعب هى التى فتحت أمامه الطريق للقيام بدوره الخطير فى الموسيقى العربية، وأن تمثال «ابن البلد» لمختار رغم الكبرياء والتأدب البادى على «هذا الولد» فهو يستطيع أن يصبح فجأة سليط اللسان وسلاحه نكتة لا تجرح، وأن أمير الشعراء أحمد شوقي نظم قصائد عديدة تعتمد على الوصف الكاريكاتيرى، وأن فى قصص محمود تيمور لوحات كاريكاتيرية بديعة مرسومة بالقلم، ثم هل ننسى أزجال بيرم التونسى ومزاجه وهجاءه الذى ينافس به رسوم رخا وصاروخان وعبد السميع؟!

وقد بهرنا عندما أخذ يفسر إندلاع الكاريكاتير كسلاح لمعركة التطاحن بين الأحزاب عقب إصابة ثورة ١٩١٩ بالإجهاض، فقد وفر - وقتها - للشعب وسيلة للتعويض عما يحس به من مرارة وألم، فالكاريكاتير فى هذه الفترة كان طعنا وتنفيسا فى آن واحد!

وكانت نصيحته الخالصة لأى رسام كاريكاتير، بأن يحول القلم فى يده إلى إبرة لا خنجر، لأنه يريد أن يضحك ويدفع غيره - حتى الضحية - إلى الضحك، ولكن بدون قسوة أو تحقير أو إساءة أو فضح عاهة لا ذنب لصاحبه فيها، فنحن نبتسم للدعابة ونتأفف من سقم الذوق وقلة الأدب وطول اللسان!

وداعا عاشق الكاريكاتير...

وداعا يا من أمتعتنا بنهر لا ينضب من الثقافة والإبداع والفن الجميل.

وداعا أيها الإنسان الإنسان الشامخ.. يحيى حقى...

وداعا يا من قلت لنا: إياكم أن ترهبكم مطالب المعاصرة أو تهمة التخلف، فخير لأى ذوق فنى أن يكون عاقا لعصره صادقا مع نفسه، من أن يكون عاقا لطبعه مسايرا لعصره!

المعتزل

قلت له : مبروك تقرير الانفجار الذى أودى بحياتك يؤكد أنه لا شبهة فى جرم أو تدبير، وأنه لا دخل لأنبوبة البوتاجاز فى الحريق من قريب أو بعيد، فالمشكلة كلها جاءت من منطقة الشعلة ومن الأوراق والقماش فى مطبخك المتواضع، فأنت المقتول، وأنت المهمل، وأنت المتسبب فى الوفاة الفجائية!

قال لى مسلما أمره لله: الله يبارك فيك.. ده أحسن خبر سمعته فى حياتى ومماتى.. إننى أعلم جيدا أنه لو جاءت العامل بنتيجة عكس ذلك، لأخذونى «كعب داير» من الإسكندرية لأسوان ومن الساحل الشمالى حتى سيناء وشلاتين رحلايب!

قلت له : قد يسعدك أكثر أن تعلم أن المثقفين والعلماء يشقون بعد رحيلك الجيوب ويلطمون الخدود!

قال لى والابتسامة المريرة على وجهه، هذه هى عبقرية الإنسان والمكان.. والزمان أيضا.. فنحن وحدنا المتخصصون فى قتل القتيل والمشى فى جنازته.. وقد وجدوا الجنازة.. فلماذا لا يشبعون فيها «لطم»؟!

قلت له : الرجل الذى لم يوافق على استقالتك من الجامعة احتجاجا على إصدار قانون «تفصيل» لزميل أصبح فيما بعد وزيرا ثم عاد وفصلك ليجعل منك بعد كتابك «شخصية مصر» عبقرية نادرة فى تراثنا الفكرى، وانتظر رحيلك على أحر من الجمر ليفك عقدة لسانه ويقول إنك دلوعة، وإن إنتاجك لم يكن فريدا من نوعه، وإنك أفسدت الأسلوب الجغرافي بالعمل السياسى، وإنك لولم تهرب من الناس وتعتزل الحياة فى شقتك البائسة لأصبحت شخصية سياسية مرموقة!

فقال في إستغراب ياه... هوه لسه عايش!

قلت له : لأننا فى زمن «البوليتيكا» والمصالح قبل الصوالح، فأنا مضطر لأن أقدم لك اعتذارى على جنازتك المخجلة التى لا تليق بلص أو عالة، فلم يكن فيها

وزير ولا غفير، ولا حتى مندوب درجة عاشرة من أى جامعة أو أى هيئة علمية.. فهل صحيح أن هذا جعلك تودع الحياة وأنت تبكى؟!

فقال محتدا: أبدا.. لقد ودعتها وأنا أضحك على أزمة هؤلاء الذين يحملون عقولا أنضف من الصينى بعد غسيله ومع ذلك يتصدون للبحث العلمى ويتحدثون فى الثقافة بأسلوب العارفين، وينسبون إلى أنفسهم ممتلكات الآخرين المنهوبة، فأنا لا يشرفنى أن يودعنى مجموعة من الجهلاء والسطحيين والأدعياء والمتخلفين ومحترفى الشعارات وطلاب المناصب من المتسلقين، فأمثال هؤلاء هم الذين جعلوا من مصر الحضارة .. رأسا كاسحا وجسما كسيحا، هم الذين دفعونا دفعا إلى أزمة حقيقية اجتماعية قبل أن تكون اقتصادية . وسياسية قبل أن تكون اجتماعية وأخلاقية قبل أن تكون سياسية !

قلت لجمال حمدان الذى كان يكره أن يسبق اسمه لقب «دكتور» وأنا أودعه : بصراحه حكايتك كده على بعضها جسدت المحنة الحقيقية للمثقفين ، بعد أن حصل الأدعياء وأصحاب «البوتيكات» على نصيب الأسد ، وانسحب الحصان الجميل من حلبة السباق، وأصبح «البغل بين الحمير ركاض» .

الصامت

عندما تكلم لم يكن مثل الصامتين الذين سكتوا دهراً ونطقوا كفراً، فقد وجه ضربة من النوع المتين لدراويش المذكرات الذين اتخذوا منها مصدراً للتهليب والاسترزاق، وباعوا الترام لبعض الصحف التى قبضوا منها «الهُبر» بكل العملات الصعبة والعملات المصابة بالأنيميا !

لقد أقام هؤلاء المزيفون لأنفسهم تماثيل على مزاجهم فى ثورة ٢٣ يوليو، تصل قامتها إلى قامة تمثال رمسيس الثانى فى ميدان المحطة، وراحوا يكيلون الاتهامات لخصومهم، ويطمسون أدوارهم الحقيقية، ويسرحون بعباد الله ولا أبو لمعة الأصلى فى زمانه ، وكانت النتيجة أن طويت أوراقهم بعد أن طلعوا من المولد بالحمص المستورد، لأن أهل مصر الطيبين لم يروا فيهم إلا مجرد بهلوانات فى سيرك سياسى لا يستحق أن يدفع فيه المتفرج حتى ثمن كوز الذرة !

وهذا ليس بجديد على خالد محيى الدين، صاحب الدور المعروف والمرموق فى الثورة، الذى ظل وجهه واضحاً ولم يغير جلده أو موقعه طوال حياته، والذى يجمع خصومه قبل انصاره على احترامه لأمانته وصراحته مع نفسه والآخرين، ورأيه القاطع فى قضية الديموقراطية الذى بقى من أجله منفياً فى الخارج سنوات، وابتعاده عن التجريح الشخصى لتصفية الحسابات القديمة أو الثأر من خلافات مع زعماء أصبحوا فى ذمة الله والتاريخ !

ففى مذكرات هذا الرجل أكد لنا حقيقة عشناها وهى أن أغلب المستشارين والقوى السياسية التى أحاطت بالثورة وقفت ضد الديموقراطية والبرلمان على أمل أن تأتيهم المغانم والمناصب بالزوفة، وعلى طريقة «الجدع اللى يلحق له نصيب من الفتة» !

وخلال حديثه عن رجال الثورة فند كافة الاتهامات الظالمة التى حاولوا بها تلويث أثواب عبد الناصر والسادات ومحمد نجيب الذى كان مشاركاً حقيقياً فى

الثورة، ويتحمل – كما يقول بالضبط – عبء فشلها والمسئولية الأولى لأى تراجع أو نكسة فى أيامها الأولى !

وقال فى مذكراته أنه عقب عودته من المنفى فوجىء بأن الأمور تغيرت كثيراً وأن زملاءه ينادون جمال عبد الناصر فى الخمسينات.. «باريس» فعندما يذهب إلي دورة المياه يقف الجميع بناء على إتفاق يفرق بين الرسميات والتعامل أمام الآخرين وبين علاقات الصداقة والتعامل الأخوى فى المقابلات الخاصة !

وقد ابتسمت وأنا أقرأ الرواية، لأنها ذكرتنى بنكته قديمـة مضـروبة أطلقها – فى حينها – الشعب على الزعيم السياسى الذى كان يردد فى خطبة دائما «وقلت له يا جمال» ، فقد رأى عبد الناصر فى منامه وسأله : «أنت زعلان منى ياريس؟!».. ورد عليه بقوله : شوف يا فلان .. أنا مش زعلان منك عشان قلت عنى كذا وكذا وكذا .. لكن بذمتك أنت كنت تقدر تقو لى «يا جمال» كده حاف؟!

تحية للإنسان الصادق والشجاع الحاج خالد ميحى الدين، الذى لم يقل شهادته على طريقة الفتوات الذين حطموا «كلوبات» الشادر بعنترياتهم الوهمية ومذكراتهم «الدون كوشوتية» ! .

محمد يوسف

لم أعرف طوال حياتى إنسانا فى مثل تواضعه ودماثة أخلاقه وقوة وروعة فنه !

كان الكاتب الساخر جليل البندارى يصفه بالفنان الكبير الذى يقابل نقده بالشكر سواء كان له قيمة أو تافها، لأنه فنان كبير ، وكبار الفنانين . فقط - هم الذين تتسع صدورهم للنقد !

وكان يؤكد فى كل مناسبة أن محمد يوسف - كمصور صحفى - يملك فى جسده ذلك «الردار» أو ما يسمونه بالحاسة السادسة ، التى تجعله أسرع مصور صحفى عرفته الصحافة، فهو يصور اللقطة النادرة بسرعة الضوء ، وربما كانت يده أسرع من الضوء !

وقد بدأ محمد يوسف عمله كمصور صحفى فى دار الهلال عام ١٩٣٣ بعد تعرضه لحادثة فى مطابعها أدت إلى فقدانه لأربعة أصابع من يده اليمنى، ثم انتقل إلى روز اليوسف ليعود منها بعد عامين مرة أخرى إلى دار الهلال .

ولهذا فهو من أوائل المصورين الذين اشتغلوا بالصحافة فى مقابل ثلاثة قروش لكل لقطة منشورة، ومن قبل كانت الصحف لا تعرف المصور الصحفى المتخصص ، وتلجأ إلى أى واحد من «الخواجات» الذين يملكون ستديوهات للتصوير وتتفق معه على إمدادها بصور الأحداث الهامة فى القاهرة والاسكندرية مقابل خمسة «لحاليح» شهرية !

كان محمد يوسف فى مستهل حياته لا يقنع بما يراه أمامه من صور جامدة وصامتة وخالية من الحرارة والتشويق ، ولهذا صمم على ضرورة تطوير الصورة بإذابة الجليد من على وجهها ودفعها نحو ما يسمى «بصدمة اللقطة» أو التأثير المفاجىء لمشهد فاتك أن تراه !

كان يفعل ذلك وهو يحمل آلة تصوير من نوع الصندوق البدائى، لأن الكاميرات فى أيام شبابه لم تكن قد تطورت، وكان استخدامها بالليل أقرب إلى

الصور الكاريكاتورية الصارخة، فالمصور يحمل فى يده جهازا ثقيلا ويضع فى جيبه قرطاسا مليئا ببودرة الماغنسيوم، يفرغ بعض ما فيه داخل الجهاز، ثم يضغط على زر فتحدث الشرارة التى تشعل البودرة فتعطى ضوءا مصحوبا بسحابة من الدخان الأبيض وفرقعة تخلع القلب عند التقاط الصورة، فقد كان المصورون وقتها لا يعرفون الأفلام الشديدة الحساسية أو الفلاشات الالكترونية أو حتى الفلاشات التى تعتمد على لمبات الماغنسيوم!

واستطاع رائد المصورين الصحفيين أن يشق طريقه بسرعة الصاروخ ، واختطفته أخبار اليوم ليصبح كبير مصوريها ، ثم انتقل إلى الأهرام ليواصل رسالته الفنية بعد أن تخرج من مدرسته عشرات المصورين الذين أصبحوا نجوما فى كل الصحف.

وقد عاصرت محمد يوسف منذ بداية عملى الصحفى فى أخبار اليوم وتعلمت منه الكثير ، كان يقول لنا أن الصورة الجيدة الخاطفة للأبصار تساوى ألف كلمة، أن مؤهلات المصور الموهوب: القدرة على التخيل ، وسرعة البديهة وعين أقرب ى عين الصقر مستعدة دائما للتصوير !

كان يقول لنا أن صحف العالم يزداد توزيعها بالصورة الجذابة، وأن الصورة الجيدة تظل عالقة بذهن القارىء لفترة أطول من تأثير الكلمة، فهى تجعل أى إنسان يتخيل الأشياء بتعبيرات شخصية مثل «إننى أعرف هذا المكان» أو «أنظر ماذا فعلت النيران بشقة تشبه شقتى» أو هذه المرأة تشبه جارتى تماما» أو وجهه يدل على أنه قاتل بالفعل» أو «إنها ترتدى فستانا آخر موضة» أو «معقول هذه المرأة الجميلة زوجة لهذا الرجل العجوز ؟! » .

عزاؤنا فى ذكرى رحيل رائد التصوير الصحفى الفنان محمد يوسف، إننا ما زلنا نترحم على زمانه، ونتشوق إلى مثل صوره الصحفية التى أصبحت فى أيامنا كالعملة النادرة .

ملحن «النكسة» المهزوم

ذهبت لأستمع إليه لأول مرة فى نقابة الصحفيين عام ١٩٦٨، وكانت القاعة ممتلئة عن آخرها جلوسا ووقوفا بالصحفيين والفنانين والمخبرين، وكانت صرخات الاستحسان والتصفيق الحاد بلا ضابط أو رابط مع كل «كوبليه» يلهب بالكرباج ظهور المسئولين عن «النكسة» ويتهمهم عينى عينك بأنهم وراء هذه المصيبة التى حلت بمصر ومرّغت كرامتها فى التراب وجعلت الناس يلجأون كالغرقى إلى أى شئ يطفئ نار قلوبهم ويزيح عن نفوسهم الغيظ والخجل والضياع الذى أصابهم فى مقتل!

كان الشيخ إمام عيسى أعمى البصر، لا يملك حق نظارة يدارى بها آثار العلاج الشعبى الذى أفقده نظره وعمره خمسة شهور عندما عالجه حلاق قرية أبو النمرس بالجيزة، وكان يجلس إلى جواره الشاعر الضائع أبو المطاليم أحمد فؤاد نجم بقوامه النحيف كعود القصب «الممصوص» ووجهه الباهت وملامحه المشاغبة التى تصر على نيل شرف «السجن» مع زميله بمهاجمة «عتاولة» السلطة باتهامات صريحة وجارحة، تؤكد أنهم وراء تلك المصيبة المروعة، وأنهم لن يتوقفوا عن الغناء عن كارثة مصر إلا إذا توارى الكذابون وبائعوا الكلام واسترد الوطن شرفه المسلوب!

كان الشيخ إمام وقتها قد طلق أغانى الصد والهجر والحب والبعاد، و«ياكاوينى معاك وشاغلنى عليك، إن غبت سنة، أنا برضه أنا»، وقلبها «دندرة» - نسبة لاسم الباخرة الغارقة - بأغانى كالديناميت:

يا أهل مصر المحمية بالحرامية ... الفول كتير والطعمية والبر عمار
والعيشة معدن وأهى ماشية آخر آشيا ... مادام جنابه والحاشية بكروش وكتار
ح تقول لى سينا وماسيناشى ماتدوشناشى ... ماستميت أتوبيس ماشى شاحنين أنفار
إيه يعنى لما يموت مليون أو كل الكون ... العمر أصلا مش مضمون والناس أعمار
إيه يعنى فى العقبة جرينا ولا فى سينا ... هى الهزيمة تنسينا إننا أحرار؟

وقبل رحيل الشيخ إمام بسنوات اختلف مع صديق عمره الشاعر نجم، ولم يبح أى منهما بالسر الحقيقى للخلاف ، وانزوى الملحن العجوز الذى جاوز منتصف السبعينات فى حجرته المتواضعة بالحى الشعبى يدندن على العود بأغلى الذكريات، حتى ودعنا فقيرا معدما مهزوما، فقد نسينا فى زحمة الحياة كلمة إنصاف واحدة لملحن النكسة!

محتويات الكتاب

كتب صدرت للمؤلف

١- أم كلثوم وزكريا أحمد أمام القضاء .

٢ - صفحات ضائعة من حياة بيرم التونسى (نفد)

٣ - سقوط جدار الوهم (حرب أكتوبر) (نفد)

٤ - أريد أن أرى الله (ثورة الهيبز) (نفد)

٥ - تراث بيرم التونسى (٦ أجزاء)

٦ - رحلاتى للشرق والغرب (نفد)

٧ - بيرم التونسى عاصفة من الحارة المصرية

رقم الايداع	١٩٩٨ / ٥٠٩٤
الترقيم الدولى	I.S.B.N 977-202-123-4

المؤلف وهذا الكتاب

الكاتب الصحفى كمال سعد فى كتابه الجديد «مشاهير وساخرون وصعاليك» ، يغوص فى أعماق سبعين شخصية ملأوا حياتنا الصحفية والأدبية والثقافية والسياسية بأعمالهم المرموقة المميزة، ولم يقتصر الكتاب على نجوم مصر، ولكنه تجاوز ذلك إلى مشاهير العرب، بل والعالم....

إن كمال سعد فى هذا الكتاب المهم يلقى الضوء على الظرفاء الذين أسعدونا بأعمالهم الضاحكة، والآخرون الذين كانوا لا يضحكون فى كتاباتهم إلا قليلا، والصعاليك الذين هم سبب أمراضنا الإجتماعية !

وفى هذا الكتاب نرى المؤلف كمال سعد كاتبا يسخر من أحوالنا وعيوبنا ويطالب بإستئصال الداء قبل تفشى المرض فى الجسد كله !

الناشر